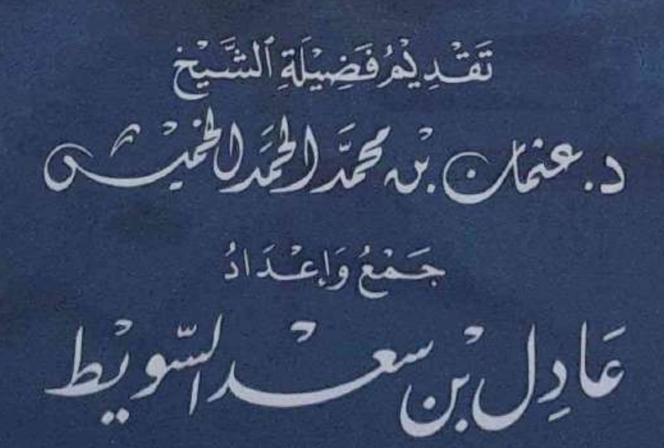
غيث القلوب وربيع الصدور

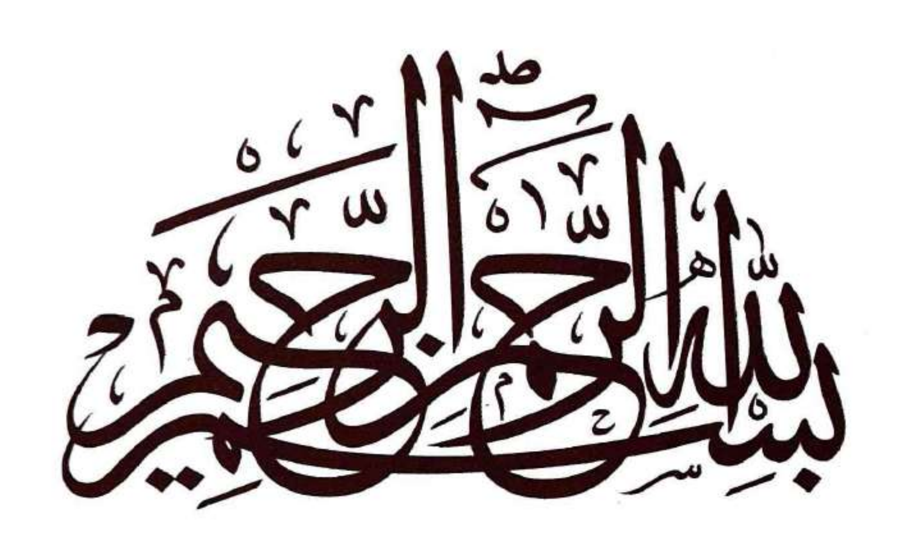
فوائد ولطائف قرآنية لابن عثيمين رحمه الله





غيث القلوب وربيع الصدور

فوائد ولطائف قرآنية لابن عثيمين رحمه الله


بسم الله الرحمن الرحيم



تقديم

الشيخ الدكتور/ عثمان بن محمد الحمد الخميس

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين.

أما بعد:

فقد أكرم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين بسيلان الذهن، وحسن وصف الكلام، وانتقاء العبارات، ودقة الفهم، والقبول عند الناس، خاصهم وعامهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وقد قام الأخ عادل بن سعد السويط بجمع بعض كلمات وإضاءات العثيمين من خلال تفسيره لكتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وقد أحسن الاختيار ووضع عناوين يراها مناسبة لاختياراته، وفقه الله .

فأسأل الله جل وعلا أن يرحم شيخنا العلامة العثيمين، وأن يجزي أخانا عادلًا خير الجزاء على ما يقوم به من نشر بعض علوم الشيخ وفوائده.

وكتبه

عثمان بن محمد الحمد الخميس







المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الكريم وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فبين يديك ـ أخي القارئ ـ كتاب يحوي فوائد متنوعة ولطائف شتى من درر الشيخ محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير القرآن، انتقيتها من تفسير الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ المطبوع، ولم أرتِّبها وفق ترتيب سور القرآن، بل جعلت الكتاب بمثابة حديقة غنَّاء يتجول المتنزّه فيها، ويقطف من بساتينها وجنانها المتنوعة الورد والأزهار بمختلف الألوان والأشكال.

وقد أسميته «**غيث القلوب وربيع الصدور/ فوائد ولطائف قرآنية لابن عثيمين**»؛ لما حواه من الفوائد الإيمانية والأخلاقية والتربوية والعلمية التي تحيا بها القلوب، وتستنير بها البصائر، وتنشرح لها الصدور.

والله عَزَّوَجَلَّ أسأل أن يجعل هذا الكتاب مباركًا نافعًا لنا ولعباده، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه

عادل بن سعد السويط



١ - لا يحرم شيء في الأرض إلا بدليل

الأصل في كل ما في الأرض الحلّ، من أشجار، ومياه، وثمار، وحيوان، وغير ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩]، وهذه قاعدة عظيمة؛ وبناءً على هذا لو أن إنسانًا أكل شيئًا من الأشجار، فقال له بعض الناس: «هذا حرام»؛ فالمحرِّم يطالَب بالدليل؛ ولو أن إنسانًا وجد طائرًا يطير، فرماه، وأصابه، ومات، وأكله، فقال له الآخر: «هذا حرام»؛ فالمحرِّم يطالب بالدليل؛ ولهذا لا يَحْرم شيء في الأرض إلا ما قام عليه الدليل[١].

٢ - لا تعجب بعملك

دعا سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ الله تعالى قائلين: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧]وهذا يدل على أهمية القبول للعمل، وإن المدار في الحقيقة عليه، وليس على العمل، فكم من إنسان عمل أعمالًا كثيرة وليس له من عمله إلا التعب، فلم تنفعه، وكم من إنسان عمل أعمالًا قليلة قبلت فنفعه الله بها؛ ولهذا جاء في الحديث: «**رب صائم حظه من صيامه الجوع والظمأ، ورب قائم حظه من قيامه السهر**»[٢].

٣ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلما وجد في الأمة وجد الخير فيها، وكلما ضعف فيها ضعف الخير؛ لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٢٩، ١/ ١١٠.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم ١٢٧، ٢/ ٥٩.

بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؛ ولهذا لما كانت الأمة قوية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانت البلاد على خير ما يرام، وكلما ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فات هذه البلاد من الخير بقدر ما فاتها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١).

٤- آفات الحزن

إن الله عَزَّوَجَلَّ يحب من عباده ألا يحزنوا؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [آل عمران: ١٥٣]؛ لأنه سبحانه قدّر الغم بالغم من أجل ألا يحزنوا، وذلك لأن الحزن يحدث للإنسان انقباضًا ربما يمنعه عن كثير من المصالح، وربما يحدث له عقدًا نفسية، والإنسان ينبغي أن يعوِّد نفسه على انشراح الصدر وانبساط النفس بقدر ما يستطيع؛ لأنه لا شك أن الإنسان إذا كان صدره منشرحًا ونفسه منبسطة أن يكون مستريحًا قابلًا للتفهم والتفهيم (٢).

٥- لا يكن همك في الدعوة همًّا شخصيًا بل معنويًا

قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ [عبس: ١-٤]، وهذه الآيات فيها تأديب من الله عَزَّوَجَلَّ للخلق ألا يكون همهم همًّا شخصيًّا، بل يكون همهم همًّا معنويًّا، وألا يفضلوا في الدعوة إلى الله شريفًا لشرفه، ولا عظيمًا لعظمته، ولا قريبًا لقربه، بل يكون الناس عندهم سواء في الدعوة إلى الله الفقير والغني، الكبير والصغير، القريب والبعيد (٣).

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١١٠، ٢/ ٥٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٥٣، ٢/ ٣٢٥.
(٣) سورة عبس الآيات ١-٤، ص٦٢.

٦- نعمة الإيمان

يجب شكر نعمة الله على مَنْ مَنَّ الله عليه بالإيمان؛ لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران:١٦٤]؛ لأن المراد بهذا الخبر هو شكر نعمة الله تعالى على هذه المنة، وألا يتعاظم الإنسان في نفسه، وكذلك يجب اللجوء إلى الله تعالى بأن يثبتك على الإيمان؛ لأنه إذا كان هو المانُّ به فهو الذي يملك ثبوته وزواله، فارجع إليه [١].

٧- أرواح الشهداء

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] «عند»: تفيد القرب من الله عَزَّوَجَلَّ وهو كذلك، فإن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم ترجع إلى قناديل معلَّقة تحت العرش، فهذه عندية خاصة يمتاز فيها بالقرب من الله تعالى.

فقوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ المراد بذلك حياة أرواحهم، أما أبدانهم فقد ماتت بلا شك، لكن أرواحهم حية حياة برزخية [٢].

٨-الإيمان والخوف

كلما قوي الإيمان بالله قوي الخوف منه، وضعف الخوف من أولياء الشيطان؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥] [٣].

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١٦٤، ٢/ ٤٠٩، ٤١٠.
(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٦٩، ٢/ ٤٣٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية رقم ١٧٥، ٢/ ٤٥٧.

٩- الاستدراج بالنعم

إن الله عَزَّوَجَلَّ بحكمته قد يستدرج بعض الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥]، فيعطيه النعم تترًا وهو متجاوز لحدوده، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ﴾ [آل عمران:١٧٨]، وليبلغ في الطغيان غايته حتى إذا أخذه لم يفلته، كما قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**»، وتلا قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود:١٠٢][1].

١٠- الصبر ثلاثة أقسام

قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة:٤٥]، هذه الآية بينت فضيلة الصبر، وأن به العون على مكابدة الأمور؛ قال أهل العلم: والصبر ثلاثة أنواع؛ وأخذوا هذا التقسيم من الاستقراء؛ الأول: الصبر على طاعة الله؛ والثاني: الصبر عن معصية الله؛ والثالث: الصبر على أقدار الله؛ فالصبر على الطاعة هو أشقها، وأفضلها؛ لأن الصبر على الطاعة يتضمن فعلًا وكفة اختيارية: فعل الطاعة؛ وكف النفس عن التهاون بها، وعدم إقامتها؛ فهو إيجادي إيجابي؛ والصبر عن المعصية ليس فيه إلا كف فقط؛ لكنه أحيانا يكون شديدًا على النفس؛ ولهذا جعل النبي ﷺ الشاب الذي دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله في رتبة الإمام العادل من حيث إن الله يظله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وإن كان الإمام العادل أفضل؛ لأن قوة الداعي في الشباب،

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١٧٨، ٢/ ٤٦٨.

وكون المرأة ذات منصب وجمال، وانتفاء المانع فيما إذا كان خاليا بها يوجب الوقوع في المحذور؛ لكن قال: «إني أخاف الله»؛ ربما يكون هذا الصبر أشق من كثير من الطاعات؛ لكن نحن لا نتكلم عن العوارض التي تعرض لبعض الناس؛ إنما نتكلم عن الشيء من حيث هو؛ فالصبر على الطاعة أفضل من الصبر عن المعصية؛ والصبر عن المعصية أفضل من الصبر على أقدار الله؛ لأنه لا اختيار للإنسان في دفع أقدار الله؛ لكن مع ذلك قد يجد الإنسان فيه مشقة عظيمة؛ ولكننا نتكلم ليس عن صبر معين في شخص معين؛ قد يفقد بعض الناس حبيبه، أو ابنه، أو زوجته، أو ما أشبه ذلك، ويكون هذا أشق عليه من كثير من الطاعات من حيث الانفعال النفسي؛ والصبر على أقدار الله ليس من المكلف فيه عمل؛ لأن ما وقع لابد أن يقع - صبرت، أو لم تصبر: هل إذا جزعت، وندمت، واشتد حزنك يرتفع المقدور؟!

الجواب: لا، إذًا كما قال بعض أهل السلف: إما أن تصبر صبر الكرام، وإما أن تسلو سُلوّ البهائم[1].

١١ - التوبة تسقط الحد قبل القدرة

يؤخذ من قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [المائدة:٣٣-٣٤] أن هؤلاء المجرمين -المناصبين الحرب لله ورسوله والساعين في الأرض بالفساد - مع عظم جرمهم إذا تابوا قبل القدرة عليهم سقط عنهم الحد، ويؤخذ سقوط الحد من قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يعني: فإذا علمتم ذلك فاغفروا

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٤٥، ١/ ١٦١-١٦٣.

لهم، وهل هذا على إطلاقه بمعنى: أنه يعفى عنهم حتى فيما يتعلق بحقوق الآدميين من نفس أو جرح أو عضو أو مال أو هو خاص بحقوق الله؟ الثاني هو المتعين؛ لأن حقوق الآدميين لا بد من وفائها، وعلى هذا فإذا كان هؤلاء الذين تابوا، ووضعوا السلاح وظهر صدقهم قد قتلوا أحدًا، هل نقتلهم أو لا؟

الجواب: إذا طلب أولياء المقتول أن يُقتلوا قُتلوا؛ لأن حق الآدمي لا يسقط، لكن لو لم يتوبوا وأتينا بهم، ثم قال أولياء المقتول: نحن قد عفونا هل يسقط؟ لا؛ لأنه حد، فالقتل حتم إذا لم يتوبوا؛ أما إذا تابوا انتقل الحد إلى حق الآدمي، إذا عفا فلا بأس.

وهل يلحق بذلك سائر الحدود كحد الزنا والسرقة وما أشبه ذلك؟ الجواب: نعم يلحق به؛ لأن التوبة إذا أسقطت هذا الحد العظيم في الجرم العظيم فما دونه من باب أولى، فالسارق مثلا إذا تاب إلى الله، وأتى بالمال المسروق ورده إلى صاحبه فإننا لا نقطع يده؛ لأنه تاب إلى الله قبل أن نقدر عليه.

أما أنهم إذا تابوا بعد القدرة فإن توبتهم لا تقبل، وهنا يرد إشكال، وهو ما جرى في قصة أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين لحق المشرك، فلما أدركه قال: لا إله إلا الله، فقتله أسامة، والذي يظهر أن هذا المشرك قال: لا إله إلا الله تعوذًا من القتل، فلما جاء إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأخبره الخبر، قال: «**قتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله**»، قال: نعم يا رسول الله، قتلته، لكنه قالها تعوذًا وخوفًا من القتل؛ لأنه لو كان صادقًا لأسلم قبل أن يهدد بالقتل، فجعل النبي ﷺ يردد: «**أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله، فماذا تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟**»، حتى تمنى أسامة أنه

لم يكن أسلم من قبل؛ لأنه إذا فعل هذا وهو مشرك ثم تاب، تاب الله عليه، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨].

إذًا نقول في هؤلاء: إذا تابوا بعد القدرة فإنه لا يسقط، نقول: لأن هذا حد وليس قتلًا للردة، والحد قد فعل ما يوجبه، والردة الذي يوجبها هو الشرك وقد زال بالإسلام، فلا يرد على هذا لا في المحاربين ولا في غيرهم من ذوي الحدود[1].

١٢ - الإسلام أعطى المرأة حقها

الدين الإسلامي هو الذي انتصر للمرأة وأعطاها حقها بعد أن كانت مهضومة في الجاهلية؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ﴾ [النساء:٧]، ولكن الدين الإسلامي لم يعط المرأة أكثر من حقها، ولم ينزلها أكثر من منزلتها، بل أعطاها الحق اللائق بها، وهو معروف ـ ولله الحمد ـ بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ[2].

١٣ - من صور سعة فضل الله عَزَّوَجَلَّ

إن فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واسع، وذلك بتكفير السيئات باجتناب كبائر الذنوب؛ لقوله تعالى: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء:٣١]، وإلا لو جازى الناس بالعدل لعاقبهم على الصغائر وعلى الكبائر، كلٌّ منها بحسبه، فالكبائر عقوبتها شديدة، والصغائر دون ذلك، ولكن من فضله عَزَّوَجَلَّ

(١) سورة المائدة، الآية رقم ٣٤، ١/ ٣٢٧-٣٢٩.

(٢) سورة النساء، الآية رقم ٧، ١/ ٥٢.

جعل الصغائر مكفرة باجتناب الكبائر، وهذا من أثر قوله سبحانه كما في الحديث القدسي: «**إن رحمتي سبقت غضبي**»(١).

١٤ - وبالوالدين إحسانًا

أوجب الله تعالى الإحسان إلى الوالدين، فقال تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [البقرة:٨٣]، وإنما أوجب ذلك؛ لأن نعمة الوالدين على ولدهما هي التي تلي نعمة الله عَزَّوَجَلَّ؛ ولذلك قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في سورة لقمان: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان:١٤]، فهما سبب وجودك وإمدادك، وإعدادك -وإن كان أصل ذلك من الله- فلولا الوالدان ما كنت شيئًا، والإحسان إلى الوالدين شامل الإحسان بالقول، والفعل، والمال، والجاه، وغير ذلك من أنواع الإحسان، **وضده أمران:**

أحدهما: أن يسيء إليهما.

والثاني: ألا يحسن، ولا يسيء.

وكلاهما تقصير في حق الوالدين مناف لبرهما، وفي الإساءة زيادة الاعتداء(٢).

١٥ - الانتفاع بالقرآن

يؤخذ من قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢] فضيلة التقوى، وأنها من أسباب الاهتداء بالقرآن، والاهتداء بالقرآن يشمل الهداية العلمية، والهداية العملية، أي هداية الإرشاد، والتوفيق(٣).

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ٣١، ١/ ٢٧٠.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٨٣، ١/ ٢٧٠.
(٣) سورة البقرة، الآية رقم ٢، ١/ ٢٩.

١٦ - هل نار الآخرة موجودة الآن؟

نار الآخرة موجودة الآن؛ لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤]، ومعلوم أن الفعل ﴿أُعِدَّتْ﴾ هنا فعل ماض، والماضي يدل على وجود الشيء، وهذا أمر دلت عليه السنة أيضًا، فإن النبي ﷺ عُرضت عليه الجنة والنار، ورأى أهلها يعذبون فيها، رأى عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه ـ أي أمعاءه ـ في النار، ورأى المرأة التي حبست الهرة حتى ماتت جوعًا، فلم تكن أطعمتها، ولا أرسلتها تأكل من خشاش الأرض، ورأى فيها صاحب المحجن ـ الذي كان يسرق الحُجَّاج بمحجنة ـ يعذب، وهو رجل معه محجن ـ أي عصا محنية الرأس ـ كان يسرق الحُجاج بهذا المحجن، إذا مرَّ به الحجاج جذب متاعهم، فإن تفطن صاحب الرحل لذلك ادعى أن الذي جذبه المحجن، وإن لم يتفطن أخذه، فهو يعذب ـ والعياذ بالله ـ بمحجنه في نار جهنم (١).

١٧ - معجزة القرآن

القرآن الكريم معجز حتى بسورة، ولو كانت قصيرة؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:٢٣]، وقد تحدى الله هؤلاء العابدين للآلهة مع معبوديهم، وهذا أشد ذلًّا مما لو تُحدوا وحدهم (٢).

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٢٤، ١/ ٨٥، ٨٦.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٢٣، ١/ ٨٣، ٨٤.

١٨- إبليس وصفات الذمّ التي فيه

لقد جمع إبليس - والعياذ بالله - صفات الذم كلها: الإباء عن الأمر، والاستكبار عن الحق، وعلى الخلق، والكفر، فإبليس استكبر عن الحق؛ لأنه لم يمتثل أمر الله، واستكبر على الخلق؛ لأنه قال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف:١٢]؛ فاستكبر في نفسه، وحقر غيره، و«الكبر» بطر الحق، وغمط الناس[١].

١٩- اليهود والعهود

اليهود دائمًا لا يوثق منهم بعهد؛ لأنهم كلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم؛ لقوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٠﴾ [البقرة:١٠٠][٢].

٢٠- أهمية النداء بالإيمان

في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة:١٠٤] تصدير الحكم بالنداء دليل على الاهتمام به؛ لأن النداء يوجب انتباه المنادى، ثم النداء بوصف الإيمان دليل على أن تنفيذ هذا الحكم من مقتضيات الإيمان، وعلى أن فواته نقص في الإيمان، قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فأرعها سمعك - يعني استمع لها - فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه[٣].

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٣٤، ١/ ١٢٧.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم ١٠٠، ١/ ٣٢٤.
(٣) سورة البقرة، الآية رقم ١٠٤، ١/ ٣٣٧.

٢١- تسمية المولود

يسن تسمية المولود حين يولد؛ لقول الله تعالى على لسان أم مريم لقولها: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ [آل عمران:٣٦]، وهذا هو السنة، أن يسمى الإنسان حين يولد إلا إذا لم يتهيأ الاسم فإنه يسمى في اليوم السابع، وبهذا تجتمع الأدلة، فإن النبي ﷺ لما ولد إبراهيم قال: «**ولد لي الليلة ولد وسميته إبراهيم**»، وفي حديث العقيقة قال: «**تذبح يوم سابعه، ويحلق ويسمى**»، فيكون الجمع أن من كان مهيأ الاسم قبل الولادة فالأفضل أن يسميه حال الولادة، ومن لم يهيأ فالأفضل أن يؤجله إلى اليوم السابع[1].

٢٢- العفو مقيدٌ بالإصلاح

ينبغي للإنسان أن يعفو عن حقِّه في معاملة إخوانه؛ لقول الله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٩]، ولكن هذه الآية مقيدة بما إذا كان العفو إصلاحًا، قيدها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠]، أما إذا كان في العفو زيادة إفساد وطغيان فإن هذه مصلحة تضمنت مفسدة أعظم، مثل: لو كان الجاني معروفًا بالشر والفساد، فهل الأولى أن نعفو عنه أو أن نؤاخذه بالذنب؟ الأولى أن نؤاخذه بالذنب؛ ولهذا ينبغي في حوادث السيارات ألا يتعجل الإنسان بالعفو عمن تسبب في الحادث، بل ينظر إذا كان من الرجال المتهورين الذين إذا عفونا عنه اليوم أحدث حادثًا غدًا، فهنا الأولى ألا نعفو، أما إذا علمنا أن الرجل شديد الحرص على سلامة الأنفس والأموال، ولكن هذا أمر لم يستطع التحرز منه

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ٣٦، ١/ ٢٢٩.

ونعلم أنه سوف يتحرز غاية التحرز في المستقبل، فإن الأولى في هذا العفو، إذن فالعفو مقيد بالإصلاح ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾[1].

٢٣- متى تنقطع التوبة؟

التوبة تنقطع باحتضار المرء، أي: بحضور الموت؛ لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ [النساء:١٨].

وهنا إشكال: وهو أنه إذا كانت التوبة لا تنفع عند حضور الأجل، فما الجواب عن قول الرسول ﷺ لعمه أبي طالب حينما حضره الموت: «**قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله**»؟

والجواب من وجهين:

الوجه الأول: أن هذه قضية عين، فكما أن أبا طالب ينتفع بشفاعة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دون غيره من الكافرين، فقد ينتفع بإسلامه دون غيره من التائبين في هذه الحال.

الوجه الثاني: أن النبي ﷺ لم يجزم بأنها تنفعه، بل قال: «**أحاج لك بها عند الله**»، والمحاج قد تقبل حجته وقد لا تقبل، فإذا كان هذا الحديث لا يدل على أنها تقبل جزمًا، فإنه من المتشابه الذي يحمل على المحكم، وهو أن التوبة في هذه الحال لا تقبل[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١٥٩، ٢/ ٣٦٩.

(٢) سورة النساء، الآية رقم ١٨، ١/ ١٤٣- ١٤٩.

٢٤ - الإيمان والإخلاص

الإيمان يحمل على الإخلاص، لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٧٦]، ويمكن أن نقيس على هذا بقية الأعمال الصالحة، فالذين آمنوا يتعلمون العلم لحفظ شريعة الله ونشرها بين عباد الله، والذين آمنوا يتعبدون لله تعالى بالصلاة والصدقة وغير ذلك، تقربًا إلى الله، وعكس ذلك الذين كفروا، وفيها الثناء على المؤمنين بالإخلاص؛ لأن الله ساق ذلك ثناءً عليهم، وبيان أن من قاتل في غير سبيل الله ففيه خصلة من خصال الكفر، لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٧٦]، حتى لو كان مؤمنًا يصلي ويصوم ويزكي ويحج، وهو يقاتل حمية أو عصبية ففيه شبه من الكفار، وخصلة من خصالهم [١].

٢٥ - قلة ذكر الله عَزَّوَجَلَّ

إذا رأيت من نفسك قلة في ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، فإن فيك شبهًا بالمنافقين؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء:١٤٢]؛ ولهذا وصف الله المؤمنين أولي الألباب بأنهم: ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ (١٩٠) ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران:١٩٠، ١٩١]، وما يضرك إذا ذكرت الله؟ فليس هناك عضو كاللسان في عدم التعب، فإذا كان كذلك فأكثر من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، وجاء في الحديث: أن رجلًا قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ - يعني: وقد كبرت - فقال له الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله»**، يعني: أدم ذكر الله [٢].

(١) سورة النساء، الآية رقم ٧٦، ١/ ٥٤٠.
(٢) سورة النساء، الآية رقم ١٤٢، ٢/ ٣٦٥.

٢٦- المشارك لفاعل المنكر كفاعل المنكر

إن المشارك لفاعل المنكر كفاعل المنكر؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء:١٤٠]، ونحن قلنا: المشارك، والآية لا تدل على المشارك، وإنما تدل على أن الجالس معهم له حكم الفاعل، فنقول: إذا كان الجالس يعني: القاعد معهم له حكم الفاعل فالمشارك من باب أولى.

وكذلك يجب مغادرة المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ بها، ولا يجوز للإنسان أن يبقى ويقول: أنا منكر بقلبي، وقد قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه**»، وأنا الآن منكر بقلبي غاية الإنكار!!

فنقول: لو صدقت في ذلك لقمت؛ إذ إن الجوارح تبع للقلب، فلو كره القلب ذلك لكرهته الجوارح، وهذا لا يغنيك، ولا بد أن تفارق، وإلا كنت مثلهم.

فإن قال قائل: إذًا حرموا على الإنسان الجلوس مع حالق اللحية؛ لأن حلق اللحية حرام؟

فالجواب عن ذلك: أنه يجب علينا أن نغادر المكان حين نراه يحلقها بالفعل، أما وقد انتهى الفعل ولم يبق إلا أثره فلا يلزمنا أن نغادر المكان الذي هو فيه، ومثله لو قال قائل: إذا شممت رائحة الدخان في إنسان وجب عليك أن تفارقه؛ لأن أثر الدخان في فمه؟ فالجواب: لا يجب، نعم إذا رأيته يشرب الدخان حينئذٍ أنهاه، فإن نفع وإلا قمت، أما أثر المعصية فليس كفعل المعصية [(١)].

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ١٤٠، ٢/ ٣٥٢، ٣٥٣.

٢٧- الدعاء بعد التسليم من الصلاة

لا يشرع الدعاء بعد التسليم؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء:١٠٣]، ولم يقل: فادعوا الله.

فإن قال قائل: أليس من المشروع أن الإنسان إذا سلم استغفر ثلاثًا؟

قلنا: بلى لكن هذا الاستغفار استغفار لمحو ما عسى أن يكون في الصلاة من تفريط أو إخلال، فهو في الحقيقة تابع لها؛ ولهذا كان من الأفضل أن يبادر به الإنسان قبل الذكر حتى يزيل ما في الصلاة من إخلال وتقصير (١).

٢٨- التثبت قبل نشر الأخبار

ينبغي الحرص على عدم إذاعة الشيء إلا بعد التيقن من معناه والمعرفة به، وهذا يؤخذ من قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ﴾ [النساء:٨٣]، وهذا إنكار عليهم، ثم أرشدهم إلى ما هو الأصوب، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء:٨٣](٢).

٢٩- أفعال الله عَزَّوَجَلَّ كلها لحكمة

في قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا ﴾ [آل عمران:١٩١] إثبات الحكمة في أفعال الله؛ لأنه لو خلقه باطلًا لانتفت الحكمة، فإذا انتفى الباطل ثبتت الحكمة، وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة من أن أفعال الله وشرائعه كلها لحكمة ليس فيها شيء عبث إطلاقًا، وما خفيت علينا حكمته فهو لقصور أفهامنا، وليس

(١) سورة النساء، الآية رقم ١٠٣، ٢/ ١٥٦.
(٢) سورة النساء، الآية رقم ٨٣، ٢/ ٢٤.

لانتفاء الحكمة فيه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥]، ونحن نؤمن بأن الله عَزَّوَجَلَّ لا يحكم بشيء حكمًا كونيًّا ولا قدريًّا إلا لحكمة [(١)].

٣٠- العزيمة على الأمر

ينبغي على الإنسان إذا عزم على الأمر ألَّا يتردَّد؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، لأن التردد يُحيِّر الإنسان، ويوقعه في القلق؛ ولهذا قال الشاعر:

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا

وكثير من الناس يرى المصلحة في شيء ويعزم عليه ثم يتردد فيكون مذبذبًا، أحيانًا كذا، وأحيانًا كذا، ويُؤْثر عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كلمة نافعة جدًّا، وهي قوله: من بورك له في شيءٍ فليلزمه... كلمة عجيبةٌ، لو توزن بالذهب لوزنته، «من بورك له في شيء فليلزمه»، يعني إذا عمل الإنسان عملًا ورأى فيه البركة والثمرة فليلزمه [(٢)].

٣١- الصدقة شروطها ومبطلاتها

إن المن والأذى يبطلان الصدقة؛ لذا فإن لقبول الصدقة شروطًا سابقة، ومبطلاتٍ لاحقة، يؤخذ هذا من قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٦٢]؛ أما الشروط السابقة: فالإخلاص، والمتابعة، وأما المبطلات اللاحقة فالمن، والأذى [(٣)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١٩١، ٢/ ٥٤٨.
(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٥٩، ٢/ ٣٧٣.
(٣) سورة البقرة، الآية رقم ٢٦٢، ٣/ ٣١٤.

٣٢- الأمانة

وجب أداء الأمانة على من اؤتمنها؛ لقوله تعالى: ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [البقرة:٢٨٣]، فإذا وجب أداء الأمانة حرمت الخيانة (١).

٣٣- الإيمان مقتض للأخلاق الفاضلة

ينبغي استعمال الأدب في الألفاظ مع كل الناس، يعني أن يُتجنب الألفاظ التي توهم سبًّا وشتمًا، أما إذا كان الأمر متعلقًا برسول الله ﷺ فإن النهي أشد، والحرمة أكبر؛ فقد نهى الله تعالى المؤمنين عن التشبه باليهود في مخاطبة النبي ﷺ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا﴾ [البقرة:١٠٤]، فالإيمان مقتضٍ لكل الأخلاق الفاضلة؛ لأن مراعاة الأدب في اللفظ من الأخلاق الفاضلة، ومراعاة الأخلاق الفاضلة من الإيمان، وينبغي لمن نهى عن شيء أن يدل الناس على بدله المباح، فلا ينهاهم ويجعلهم في حيرة.

و﴿رَٰعِنَا﴾ من المراعاة، وهي العناية بالشيء، والمحافظة عليه، وكان الصحابة إذا أرادوا أن يتكلموا مع الرسول ﷺ قالوا: يا رسول الله، راعنا، وكان اليهود يقولون: يا محمد، راعنا، لكن اليهود يريدون بها معنى سيئًا، يريدون «راعنا» اسم فاعل من الرعونة، يعني أن الرسول ﷺ راعن، ومعنى الرعونة الحمق والهوج (٢).

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٢٨٣، ٣/ ٤٢٩.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم ١٠٤، ١/ ٣٣٨، ٣٣٩.

٣٤- لَبْسُ الحق بالباطل

يجب بيان الحق، وتمييزه عن الباطل، فيقال: هذا حق، وهذا باطل؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة:٤٢]، ومن لبْس الحق بالباطل: أولئك القوم الذين يوردون الشبهات إما على القرآن، أو على أحكام القرآن، ثم يزيلون الإشكال ـ مع أن إيراد الشبه إذا لم تكن قريبة لا ينبغي ـ ولو أزيلت هذه الشبهة، فإن الشيطان إذا أوقع الشبهة في القلب فقد تستقر فيه ـ وإن ذكِر ما يزيلها [(١)].

٣٥- من موجبات التقوى

قال تعالى: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٦٣]، «لعل» للتعليل، أي لأجل أن تتقوا الله عَزَّوَجَلَّ، فالأخذ بهذا الميثاق الذي آتاهم الله على وجه القوة، وذكر ما فيه وتطبيقه يوجب التقوى؛ لأن الطاعات يجر بعضها بعضًا، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣]، فالطاعات يجر بعضها بعضًا، لأن الطاعة إذا ذاق الإنسان طعمها نشط، وابتغى طاعة أخرى، ويتغذى قلبه، وكلما تغذى من هذه الطاعة رغب في طاعة أخرى، وبالعكس المعاصي: فإنها توجب وحشة بين العبد وبين الله عَزَّوَجَلَّ، ونفورًا، والمعاصي يجر بعضها بعضًا، فقد قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة:٦١] [(٢)].

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٤٢، ١/ ١٥٢، ١٥٣.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٦٣، ١/ ٢٢٥.

٣٦ - الثبات على الدين

الإنسان مفتقر إلى تثبيت الله، وإلا هلك؛ لقوله تعالى عن الخليل إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام: ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾ [البقرة:١٢٨]، فإنهما - إبراهيم وإسماعيل - مسلمان بلا شك، فهما نبيَّان، لكن هل يدوم هذا الإسلام إلا بتوفيق الله عز وجل؟ لا، قال الله سبحانه وتعالى للرسول ﷺ: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ [الإسراء:٧٤، ٧٥][1].

٣٧ - من صور عدل الله عز وجل

من عدل الله سبحانه وتعالى أنه لا يؤاخذ أحدًا بما لم يعمله؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٣٤][2].

٣٨ - الرِّدة مبطلة للأعمال

الردة مبطلة للأعمال إذا مات الإنسان عليها؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [البقرة:٢١٧]، ومن ارتد عن دينه، ثم عاد إليه لم يبطل عمله السابق؛ لقوله تعالى: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ [البقرة:٢١٧]، والمرتد مخلد في النار؛ لقوله تعالى: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧]، والمرتد لا يتعامل في الدنيا بأحكام المؤمنين؛ لقوله تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾ [البقرة:٢١٧] فلا يغسل، ولا يكفن، ولا يصلى عليه، ولا يدفن مع المسلمين، ولا يرث، وأما أن يورث فقد

(١) سورة البقرة، الآية رقم ١٢٨، ٢/ ٦٣.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم ١٣٤، ٢/ ٨٢.

اختار شيخ الإسلام أنه يرثه أقاربه المسلمون، ولكن الصحيح أنه لا توارث؛ لعموم قوله ﷺ في حديث أسامة: «**لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم**»[1].

٣٩- زيغ القلوب

إن الإنسان لا يملك قلبه، ولهذا وجب أن تسأل الله ألا يزيغ قلبك؛ لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:٨]، فلا تغتر بنفسك أنك مؤمن، فكم من إنسان مؤمن زلَّ والعياذ بالله، ولكن اسأل الله دائمًا أن يثبتك، وألا يزيغ قلبك، وقد أخبر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إِنْ شَاءَ أَزَاغَه وَإِنْ شَاءَ هَدَاهُ، يُصَرِّفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**»[2].

٤٠- مكاسب الشيطان

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ [آل عمران:١٥٥]، الباء هنا للسببية، أي ببعض الذي كسبوه، وما هو الذي يكون سببًا لإغواء الشيطان من المكاسب؟ هو المعاصي أي: أن لديهم ذنوبًا كانت سابقة، ثم إن الشيطان استزلهم بها؛ أي: أوقعهم في الزلل بسبب هذه الذنوب؛ لأن الذنوب تكون سببًا للذنوب الأخرى؛ ولهذا قال بعض السلف: إن من علامة قبول الحسنة الحسنة بعدها، ومن علامة ردها السيئة بعدها.

فالإنسان إذا أذنب ذنبًا فإنه إن لم يتب فإن الشيطان يوقعه في ذنب آخر، وهكذا حتى يصبح قد أحاطت به خطيئته؛ ولهذا قال العلماء: إن المعاصي بريد

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٢١٧، ٣/ ٦١.
(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ٨، ١/ ٥٥.

الكفر، يعني تنتقل بالإنسان مرحلة بعد أخرى، حتى يصل إلى قمة المعاصي، وهي الكفر[١].

٤١- من مفاسد الحسد

قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء:٥٤].

للحسد مفاسد كثيرة، **فمن هذه المفاسد:**

أولًا: أنه من كبائر الذنوب، وكبائر الذنوب لا تغفر إلا بتوبة.

ثانيًا: أنه اعتراض على قضاء الله وقدره؛ لأن كونك تكره أن يعطي الله هذا الإنسان شيئًا، هذا اعتراض على الله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾.

ثالثًا: أن فيه عدوانًا على المحسود، وهذا في الغالب وليس دائمًا، فقد يقوم في قلب الإنسان حسد، لكن لا يعتدي على المحسود لا بقول ولا بفعل؛ ولهذا جاء في الحديث: «**إذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فلا تبغ**»، فالحسد قد يقوم بقلب الإنسان، والإنسان بشر، ولكن إذا أحسست به في قلبك فحاول طرده عن قلبك حتى يكون نزيهًا، فإن عجزت فأقل ما يلزمك ألا تبغي على من حسدت؛ أي: ألا تعتدي عليه، لا بقول ولا بفعل.

فمن القول: أن يتهم المحسود باتهامات، ويتقول عليه ما لم يقل، أو يحال بينه وبين أعماله، أو يسب عند كبرائه وأمرائه، أو يسب أيضا عند أصحابه وقرنائه، أو ما أشبه ذلك، فهذا اعتداء بالقول.

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١٥٥، ٢/ ٣٤١، ٣٤٢.

والاعتداء بالفعل: أن يعتدي عليه بيده، حتى يحول بينه وبين ما آتاه الله من فضله، مثل أن يغرق ماله، أو أن يحرقه حتى لا يكون عنده مال؛ لأنه حسده على كثرة المال.

رابعًا: المشابهة لليهود: فمن مضار الحسد أنه مشابهة لليهود، وبئس الخصلة خصلة يكون فيها الإنسان مشابهًا لليهود.

خامسًا: أن الحاسد يكون دائمًا في قلق؛ لأن نعم الله على غيره تترى، فكلما تجددت نعمة على غيره نبغ في قلبه الحسد، فيكون في قلق مستمر.

سادسًا: أن الحاسد في الغالب يستحسر، ويتصور أنه عاجز عن أن يلحق بالمحسود، فتجده يستحسر، ولا يحاول أن يصل إلى الفضائل، لكن لو أعرض عن الناس ومن زاده الله من فضله، وحاول هو أن يسعى في النعم، لسلم من هذا كله.

سابعًا: إحداث العداوة والبغضاء بين الناس؛ لأن الحاسد في الغالب لا يخلو من عدوان، والعدوان على الغير يؤدي إلى العداوة والبغضاء [1].

٤٢ - صلاح العمل

النية الطيبة سبب لصلاح العمل؛ لقوله تعالى: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾ [النساء:٣٥] [2].

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ٥٤، ١/ ٤١٧، ٤١٨.

(٢) سورة النساء، الآية رقم ٣٥، ١/ ٣٠٢.

٤٣- الإنسان والعجلة

قد يتعجل الإنسان الشيء، فإذا نزل به نكص عنه؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾ [النساء:٧٧] هؤلاء تعجلوا القتال، فلما أمروا به نكص بعضهم عنه؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ**».

ويتفرع من هذه الفائدة: أنه لا ينبغي للإنسان أن يتدخل في أمر يعجز عن الخروج منه؛ لأن فيه إذلالًا للنفس، ووجهه أن الإنسان إذا شرع في الشيء ثم عجز عنه، وتأخر نزلت قيمته عند الناس، وقالوا: هذا رجل متسرع، متعجل، كيف يدخل في أمر وهو لا يعرف كيف يخرج منه؟!(١).

٤٤- الصلح ثقيل على النفوس

الصلح ثقيل على النفوس؛ لقوله تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ۚ﴾ [النساء:١٢٨]، لكن المؤمن يهون عليه الثقل إذا كان يؤمن بأن الصلح خير، ويؤخذ من قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ۚ﴾ [النساء:١٢٨] فالإنسان بطبيعته لن يتنازل عما يريد، ولن يتغاضى عن حقه، لكن في المصالحة التي هي خير لا بد من ثمن يبذل، وهو الضغط على النفس التي أحضرت الشح؛ حتى توافق على الصلح(٢).

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ٧٧، ١/ ٥٥٠، ٥٥١.

(٢) سورة النساء، الآية رقم ١٢٨، ٢/ ٢٩٣.

٤٥ - ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾

في الآية الإشارة إلى التفريق بين الزوجين في حال عدم التوافق، ووجه ذلك: أن الله وعد على التفرق خيرًا، فقال تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [النساء:١٣٠]، وهذا هو الحق، أننا إذا لم نجد سبيلًا إلى الإصلاح بين الزوجين والوئام بينهما فإن السبيل الوحيد هو التفريق، ليسعد كل منهما في حياته[١].

٤٦ - دين الإسلام ليس دين المساواة

قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٥] نفى الله تعالى التساوي بين الناس، والعجب أننا نسمع من يدندن كثيرًا فيقول: إن دين الإسلام دين المساواة، وهذا غلط على دين الإسلام، فدين الإسلام ليس دين المساواة، ولكنه دين العدل، والعدل هو: إعطاء كل أحد ما يستحقه؛ ولذلك تجد أكثر ما في القرآن في نفي المساواة، وليس إثباتها؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ [الرعد:١٦]، وكقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٩]، وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ﴾ [الحديد:١٠] وهلم جرا[٢].

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ١٣٠، ٢/ ٣٠٥.
(٢) سورة النساء، الآية رقم ٩٥، ٢/ ١٠٣.

٤٧- كيف تعامل الناس؟

يجب على المرء أن يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به؛ لقوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء:٩] لأنه إذا كان يكره لنفسه أن يعتدي أحد على أولاده بعد موته، فكذلك لا يعتدي هو على أولاد الناس[1].

٤٨- كتمان العلم

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧] في هذه الآية التحذير من كتمان العلم؛ لأن الله ذكر ذلك على سبيل الذم، لا على سبيل المدح، وقد جاء عن النبي ﷺ: «**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ**»، نعوذ بالله منه، أي: أنه مَنْ كتم العلم ولم ينطق به فإنه يجعل له يوم القيامة لجام يُلجم به على فمه؛ لسكوته عن بيان العلم[2].

٤٩- مضار الفظاظة والغلظة

للفظاظة والغلظة مضار عديدة، وإن من أعظم مضارها نفور الناس عن الإنسان إذا كان فظًّا غليظ القلب؛ لقوله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، هذا مع أنهم يرجون من قربهم من الرسول عليه الصلاة والسلام ما يرجون، فكيف إذا كان الإنسان لا يرجى منه ما يرجى من الرسول إذا كان فظًّا غليظ القلب؟ فالظاهر أنه لا يكفي أن ينفضوا من حوله، فربما رموه

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ٩، ١/ ٦١.

(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٨٧، ٢/ ٥٢٧.

بالحجارة؛ لأن الصحابة يرجون من الرسول الخير بقربهم منه، فإذا قدر أنه غليظ القلب ينفضون من حوله، فمن سواه من باب أولى[1].

٥٠- الله عَزَّوَجَلَّ على كل شيء قدير

ينبغي علينا إذا وصفنا الله بالقدرة أن نصفه كما وصف نفسه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:١٦٥]، خلافًا لِمن قال: إن الله على ما يشاء قدير؛ لأنه إذا قال: إن الله على ما يشاء قدير، فقد يكون مفهوم العبارة: أن ما لا يشاؤه لا يقدر عليه، والله قادر على ما يشاء، وعلى ما لم يشأ.

وأيضًا إذا قلنا: «إنه على ما يشاء قدير» فإنه يدخل علينا مذهب القدرية الذين قالوا: إن الله لا يشاء أفعال العباد، فإذا كان لا يشاء أفعال العباد، وقلنا: إنه لا يقدر إلا على ما يشاء، لزم ألا يكون قادرًا على أفعال العباد.

ثالثًا: أننا إذا قلنا: على ما يشاء قدير، فقد خرجنا عما وصف الله به نفسه، لأن الله قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

٥١- الإخلاص

يجب أن يكون الإنسان مخلصًا لله عَزَّوَجَلَّ في كل عمله؛ حتى في الإنفاق وبذل المال ينبغي له أن يكون مخلصًا فيه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٧٢]؛ فالإنفاق قد يحمل عليه محبة الظهور، ومحبة الثناء، وأن يقال: فلان كريم، وأن تتجه الأنظار إليه؛ ولكن كل هذا لا ينفع؛ إنما ينفع ما ابتغي به وجه الله[3].

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١٥٩، ٢/ ٣٦٨.
(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٦٥، ٢/ ٤١٦، ٤١٧.
(٣) سورة البقرة، الآية رقم ٢٧٢، ٣/ ٣٦٥.

٥٢- صدقة السارق باطلة

إن صدقة الغاصب باطلة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٣]؛ لأن الغاصب لا يملك المال الذي تصدق به، فلا تقبل صدقته[١].

٥٣- سبب إضلال الله عَزَّوَجَلَّ للعبد

إن إضلال من ضلَّ ليس لمجرد المشيئة، بل لوجود العلة التي كانت سببًا في إضلال الله العبد؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة:٢٦]، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف:٥][٢].

٥٤- شكر النعم

يجب الشكر على من أنعم الله عليه بنعمة؛ لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٥٦]؛ بعد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة:٥٦]والشكر هو القيام بطاعة المنعم إقرارًا بالقلب، واعترافًا باللسان، وعملًا بالأركان؛ فيعترف بقلبه أنها من الله، ولا يقول: إنما أوتيته على علم عندي؛ كذلك أيضًا يتحدث بها بلسانه اعترافًا - لا افتخارًا، وكذلك أيضًا يقوم بطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بجوارحه؛ وبهذه الأركان الثلاثة يكون الشكر[٣]؛ وعليه قول الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٣، ١/ ٣٣.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٢٦، ١/ ١٠١.
(٣) سورة البقرة، الآية رقم ٥٦، ١/ ١٩٤، ١٩٥.

٥٥- الصيام مظنة إجابة الدعاء

إن الصيام مظنة إجابة الدعاء؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذكر هذه الآية: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦] في أثناء آيات الصيام؛ ولا سيما أنه ذكرها في آخر الكلام على آيات الصيام[١].

٥٦- اللقبُ بالعيب

قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ [عبس:١، ٢]، في الآيتين دليل على جواز لقب الإنسان بوصفه مثل: الأعمى، والأعرج، والأعمش، وقد كان العلماء يفعلون هذا، مثل: الأعرج عن أبي هريرة، الأعمش عن ابن مسعود... وهكذا، قال أهل العلم: واللقب بالعيب إذا كان المقصود به تعيين الشخص فلا بأس به، وأما إذا كان المقصود به تعيير الشخص فإنه حرام؛ لأن الأول ـ إذا كان المقصود به تبيين الشخص ـ تدعو الحاجة إليه، والثانية ـ إذا كان المقصود به التعيير ـ فإنه لا يقصد به الشماتة، وقد جاء في الأثر: «لا تظهر الشماتة في أخيك فيرحمه الله ويبتليك»[٢].

٥٧- الغم الأكبر يُنسي الغم الأصغر، وهذا من لطف الله عَزَّوَجَلَّ

الغم الأكبر ينسي الغم الأصغر؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ [آل عمران:١٥٣]، فمثلًا إذا فاتهم النصر فهذا غم بلا شك، لكن إذا قتل نبيهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هذا أشد غمًّا، فلما

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ١٨٦، ٢/ ٣٤٤.

(٢) سورة عبس، الآية رقم ١، ٢، ص٦٣.

أُشيع أنه قتل نسوا الغم الأول ولم يحزنوا عليه؛ لأنهم أصيبوا بغم أكبر، فإذا جاء الفرج، وتبيَّن أن الرسول ﷺ قد بقي زالت الغشاوة كلها، فيكون هذا من لطف الله بهم أنه يصيبهم بمصائب تنسيهم المصائب الأولى، ثم بعد ذلك تنفرج، وهذا من رحمته عَزَّوَجَلَّ وعنايته بالصحابة والنبي ﷺ؛ ولهذا قال: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ [آل عمران:١٥٣][1].

٥٨- كثرة المهر

يجوز كثرة المهر؛ لقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء:٢٠]، والقنطار قيل: إنه ألف مثقال من الذهب، وقيل: إن القنطار ملء جلد ثور من الذهب، وهذا كثير[2].

٥٩- التحاكم إلى غير الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله

من تحاكم إلى غير الله ورسوله فهو كافر؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء:٥٩]، ولكن هل هو الكفر المخرج من الملة أو لا؟ الجواب نقول: في هذا تفصيل بحسب حال المتحاكم، وذلك أنه إذا رأى أن الحكم الذي تقضي به هذه القوانين خير من حكم الله ورسوله أو مثله فهو كافر؛ لأنه مكذب لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠]، وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين:٨].

وأما إذا كان لا يعتقد ذلك ـ ولكن مشى مع الناس ـ فهذا لا يكفر؛ لأن من

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١٥٣، ٢/ ٣٢١.
(٢) سورة النساء، الآية رقم ٢٠، ١/ ١٦٢.

الناس ـ ولا سيما العامة ـ من لا يدرك هذا الفرق، فهذا لا يكفر.

وبقي أن يقال: إذا كنت في بلد لا يحكم إلا بالقوانين الوضعية؛ كبلد الكفار، أو من أخذ بقوانينهم، فأنت الآن بين أمرين: إما أن يضيع حقك، وإما أن تلجئك الضرورة إلى التحاكم إلى هؤلاء فهل يجوز لك أن تتحاكم إلى هؤلاء؟ الجواب: قد يظهر للإنسان في أول وهلة أنه لا يجوز أن نتحاكم إليهم؛ لأن هذا تحاكم إلى الطاغوت، ولكن نقول: لك أن تتحاكم لا باعتقاد أن ذلك حكم ملزم، ولكن لأجل الوصول إلى حقك الذي لا يمكن أن تصل إليه إلا بهذه الطريق، ثم إذا حكموا لك بما يوافق الشرع فخذ به؛ لأنه شرع الله، وإن حكموا لك بخلاف ذلك فلا تأخذ به، وهذا هو الذي يحفظ للناس حقوقهم؛ لأنه من المشكل إذا كنت في بلد لا يحكم إلا بالقانون الوضعي[1].

٦٠- الذكر بعد الصلاة

الذكر بعد الصلاة لا يشترط فيه أن يجلس الإنسان حتى ينهيه، بل له أن يذكر ولو كان قد انصرف؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء:١٠٣]، أي: على أي حال[2].

(١) سورة النساء، الآية رقم ٥٩، ١/ ٤٥٨، ٤٥٩.

(٢) سورة النساء، الآية رقم ١٠٣، ٢/ ١٥٦.

٦١- الظلم سبب لحرمان الخير

الظلم سبب لحرمان الخير؛ وهذا لقوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء:١٦٠]، والظلم سبب لحرمان الخير الشرعي والقدري، فقد ثبت أن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خرج ذات يوم ليخبر أصحابه بأن الليلة ليلة القدر، فتلاحى رجلان من الأنصار أو من غيرهم فرفعت، ونسيها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذا حرمان لأمر شرعي، وهو «أن من قامها إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»، لكن حرم الناس هذا الخير بسبب الظلم، وهو التلاحي، والتخاصم، والتنازع، ولهذا يغفر في ليلة القدر لغير المتشاحنين، أي: الذين بينهم شحناء، كما تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فيغفر لكل أحد ألا من بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا [(١)].

٦٢- تقليد الرجال ومخالفة الحق

إن من دُعي إلى الحق من هذه الأمة، وقال: «المذهب كذا، وكذا»، يعني ولا أرجع عنه ففيه شبه من اليهود الذين ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ [البقرة:٩١]؛ لأن الواجب إذا دعيت إلى الحق أن تقول: «سمعنا وأطعنا»، ولا تعارضه بأي قول كان أو مذهب، ففيها وجوب قبول الحق مِنْ كُلِّ مَنْ جاء به [(٢)].

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ١٦٠، ٢/ ٤٦٢.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٩١، ١/ ٢٩٨.

٦٣- الأسباب الموصلة للتقوى

ينبغي سلوك الأسباب الموصلة إلى التقوى؛ لأن الله تعالى أوجب الصيام لهذه الغاية؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣] إذًا هذه الغاية غاية عظيمة، ويدل على عظمتها أنها وصية الله للأولين والآخرين؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [النساء:١٣١][(١)].

٦٤- من علامات الفسق

نقض عهد الله من الفسق؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة:٢٦، ٢٧]، فكلما رأيت شخصًا قد فرَّط في واجب، أو فعل محرمًا فإن هذا نقض للعهد من بعد الميثاق [(٢)].

٦٥- مهور النساء

يجب إعطاء النساء مهورهن؛ لقوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ﴾ [النساء:٤]، ولا يجوز للولي أن يأخذ شيئًا من صداق النساء لوجهين:

الوجه الأول: أنه أضاف الصداق إليهن، فهو ملكهن.

الوجه الثاني: أنا أُمرنا بإيتائهن صداقهن ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾.

وقد اختلف العلماء في هذه المسألة: فمنهم من قال: يجوز للأب خاصة أن

(١) سورة البقرة، الآية رقم ١٨٣، ٢/ ٣١٨.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٢٧، ١/ ١٠٣.

يشترط لنفسه من مهر ابنته ما شاء، وقال بعض العلماء: لا يجوز لا للأب ولا لغيره أن يشترط لنفسه شيئا من المهر.

والذي تؤيده السنة أنه لا يجوز أن يشترط الولي لنفسه شيئا من المهر، سواء كان الأب أم غيره، لكن إذا تم العقد وأراد الزوج أن يعطي الأب أو غيره من الأولياء، أو الأم، أو الخالة، أو ما أشبه ذلك شيئًا من باب الإكرام، فلا بأس به، كما دلت على ذلك السنة، أما ما كان قبل العقد فكله للمرأة، ولا يحل لأحد أن يشترط منه شيئًا لنفسه[1].

٦٦- الدفاع عن الخائنين

نُهي النبي أن يكون مخاصمًا للخائنين، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء:١٠٥].

ويتفرع على ذلك: أنه لا يحسن للمحامين أن يتولوا مهنة المحاماة من أجل الانتصار لمن وكلهم لا للحق، كما هو شأن الكثير اليوم، فأحدهم تجده يحامي عن الشخص في المخاصمات لا من أجل أن يصل إلى الحق، ولكن من أجل أن يغلب فيُعطى ما شُرط له[2].

٦٧- الإيمان والعمل

إن العمل لا ينفع إلا إذا كان صالحًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء:٥٧]، والصالح ما تضمن شيئين: الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله، وإن شئت فقل: الإخلاص

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ٤، ١/ ٣٦.
(٢) سورة النساء، الآية رقم ١٠٥، ٢/ ١٧٩.

لله واتباع شريعته، وهذا أعم؛ إذ إن المعنى الأول قد يتوهم منه أن المراد بالرسول محمد، ولكن المراد أعم من هذا، حتى الذين عملوا الصالحات حين كانت شرائعهم قائمة يدخلون في هذه الآية وغيرها[(١)].

٦٨- أهمية العلم

للعلم فضيلة عظيمة؛ لذا امتن الله به على رسوله حيث قال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء:١١٣]، ولا شك أن العلم أشرف ما يلقاه الإنسان بعد الإسلام، فهو خير من المال، وخير من الأولاد، وخير من الأزواج، وخير من الدنيا كلها، وانظر إلى العلماء الذين نوَّر علمهم بين أيدينا اليوم، وانظر إلى من في زمنهم من الملوك والسراة والوجهاء والأعيان وغير ذلك ذهب ذكرهم، لكن العلماء بقي ذكرهم، وصاروا يدرسون الناس وهم في قبورهم، وهذه فضيلة عظيمة للعلم، فما أعطي الإنسان بعد الإسلام خيرًا من العلم[(٢)].

٦٩- المعاصي ظلم للنفس

إن المعاصي ظلم للنفوس؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة:٥٤]، ووجه ذلك: أن النفس أمانة عندك، فيجب عليك أن ترعاها بأحسن رعاية، وأن تجنبها سوء الرعاية؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص: «**إن لنفسك عليك حقًّا**»[(٣)].

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ٥٧، ١/ ٤٣٧.

(٢) سورة النساء، الآية رقم ١١٣، ٢/ ٢١٤.

(٣) سورة البقرة، الآية رقم ٥٤، ١/ ١٨٨، ١٨٩.

٧٠- النار، والمؤمن العاصي

إن النار دار للكافرين؛ لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤]؛ وأما من دخلها من عصاة المؤمنين فإنهم لا يخلدون فيها؛ فهم فيها كالزوار؛ لا بد أن يَخرجوا منها؛ فلا تسمى النار دارًا لهم؛ بل هي دار للكافر فقط؛ أما المؤمن العاصي ـ إذا لم يعف الله عنه ـ فإنه يعذب فيها ما شاء الله، ثم يخرج منها إما بشفاعة؛ أو بمنة من الله وفضل؛ أو بانتهاء العقوبة[(١)].

٧١- بيان الحق وعدم كتمانه

يحرم كتمان الحق؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٤٢]، ولكن هل يقال: إن الكتمان لا يكون إلا بعد طلب؟

الجواب: نعم، لكن الطلب نوعان: طلب بلسان المقال؛ وطلب بلسان الحال؛ فإذا جاءك شخص يقول: ما تقول في كذا وكذا؟ فهذا طلب بلسان المقال؛ وإذا رأيت الناس قد انغمسوا في محرم، فبيانه مطلوب بلسان الحال؛ وعلى هذا فيجب على الإنسان أن يبين المنكر، ولا ينتظر حتى يسأل؛ وإذا سئل ولم يجب لكونه لا يعلم فلا إثم عليه؛ بل هذا هو الواجب؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦] هذه واحدة.

ثانيًا: إذا رأى من المصلحة ألا يبين فلا بأس أن يكتم؛ فإذا رأيت من المصلحة ألا تبين فلا تبين ولا لوم عليك.

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٢٤، ١/ ٨٨.

ثالثًا: إذا كان قصد السائل الامتحان، أو قصده تتبع الرخص، أو ضرب أقوال العلماء بعضها ببعض ـ وأنت تعلم هذا ـ فلك أن تمتنع.

وخلاصة القول: أنه لا يجب عليك الإفتاء إلا إذا كان المستفتي مسترشدًا؛ لأن كتمان الحق لا يتحقق إلا بعد الطلب بلسان الحال، أو بلسان المقال (١).

٧٢- من الرجعيون؟

إن التقدم حقيقة إنما يكون بالإسلام، وإن الرجعية حقيقة إنما تكون بمخالفة الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة:١٤٣]، فإن هذا حقيقة الرجوع على غير هدىً؛ لأن الذي ينقلب على عقبيه لا يبصر ما وراءه، فمن قال للمتمسكين بكتاب الله وسنة رسوله: رجعيون، قلنا له: بل أنت الرجعي حقيقة؛ لأن الله سمى مخالفة الرسول ﷺ انقلابًا على العقب، ولا أبلغ من هذا الرجوع أن الإنسان يرجع على عقبيه رجوعًا أعمى ـ والعياذ بالله ـ لا يدري ما وراءه (٢).

٧٣- الأصلُ في الإنسان الجهلُ

قال الله تعالى: ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٣٩]، في الآية بيان نقص الإنسان، لكون الأصل فيه الجهل، فالأصل في الإنسان الجهل حتى يُعَلِّمَه الله عَزَّوَجَلَّ (٣).

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٤٢، ١/ ١٥٤، ١٥٥.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم ١٤٣، ٢/ ١١٩.
(٣) سورة البقرة، الآية رقم ٢٣٩، ٣/ ١٨٣.

٧٤-الرزق

إن الرزق بيد الله؛ فالله تعالى يقول: ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران:٢٧]، ويترتب على هذا أنه ينبغي للعاقل فضلا عن المؤمن، ألا يطلب الرزق من أيدي الناس، وإنما يطلبه من الله عَزَّوَجَلَّ.

ولهذا جاءت النصوص بفضيلة العفة عما في أيدي الناس، وكان من جملة ما بايع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عليه رسول الله ﷺ ألا يسألوا الناس شيئًا، فكان سوط أحدهم يسقط من يده وهو على بعيره، فينزل إلى الأرض ليأخذه ولا يقول: ناولني إياه؛ لأنهم بايعوا على ألا يسألوا الناس شيئًا، وهذا لا شك يجعل الإنسان يلجأ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،ولكن لا بأس أن يسأل الإنسان ما يباح له سؤاله، إنما تمام العفة ألا يسأل الناس شيئا، بل يجعل الأمر موكولًا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى [١].

٧٥- الإصرار على الذنب

في قول الله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥] توبيخ من أصرَّ على الذنب وهو عالم به؛ ولهذا قال العلماء: إن الإصرار على المعصية الصغيرة يجعلها كبيرة؛ لأن إصراره عليها يدل على تهاونه بمَنْ عصاه[٢].

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ٢٧، ١/ ١٦٨.
(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٣٥، ٢/ ١٩٠، ١٩١.

٧٦- طلب الموت على ما مات عليه الأبرار

يجوز سؤال الموت على طريق أهل الخير؛ لقولهم: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران:١٩٣]، وهذا ليس من باب الدعاء بالموت العاجل، وإنما من باب الدعاء بالموت على صفة مطلوبة، وهي أن يموت على ما مات عليه الأبرار(١).

٧٧- ثمرة الإيمان

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة:٢٥]، أي: عملوا الأعمال الصالحات صادرة عن محبة الله، وتعظيم لله عَزَّوَجَلَّ المتضمنة للإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله ﷺ، فما لا إخلاص فيه فهو فاسد؛ لقول الله تعالى في الحديث القدسي: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»(٢).

٧٨- العمل علامة الإيمان

إن للإيمان علامة، وعلامته العمل؛ لقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة:١٢١]، بعد قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة:١٢١](٣).

٧٩- الإيمان ومحبة الله عَزَّوَجَلَّ

كلما ازداد إيمان العبد ازدادت محبته لله؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، وجه ذلك أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رتب شدة المحبة على الإيمان، وقد عُلم أن الحكم إذا عُلِّق على وصف فإنه يقوى بقوة ذلك الوصف، وينقص بنقصه، فكلما ازداد الإنسان إيمانًا بالله عَزَّوَجَلَّ ازداد حبًّا له(٤).

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١٩٣، ٢/ ٥٦٣.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٢٥، ١/ ٩٠.

(٣) سورة البقرة، الآية رقم ١٢١، ٢/ ٣٦.

(٤) سورة البقرة، الآية رقم ١٦٥، ٢/ ٢٢٦.

٨٠- العمل بالعلم

ليس كل من أعطي علمًا يوفَّق للعمل به؛ لقوله تعالى: ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾ [آل عمران:٢٣] (١).

٨١- الداعية والرفق

قد يعذر الإنسان في الابتعاد عن أهل الخير إذا كانوا جفاة غلاظ القلوب؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، ويعني بهم الصحابة -رضوان الله عليهم- ويعني بالمنفض عنه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإذا كان الصحابة لا يلامون على الانفضاض عن الرسول إذا كان فظا غليظة فما بالك بمن دونه بمراحل؛ فلهذا إذا كان الإنسان فظًّا غليظًا، ولم ير الناس حوله فلا يلومن إلا نفسه، ونحن نرى الآن أن الإنسان ربما يكون كافرًا، فإذا كان يعامل الناس باللين والرفق والبشاشة والسماحة ربما يفضلونه على مسلم فظ غليظ القلب(٢).

٨٢- تَزَوَّجْ مَن تطيب نفسُك بها

ينبغي للإنسان أن يتزوج بمن تطيب نفسه بها؛ لأن ذلك أدنى أن يؤدم بينهما؛ ولهذا شرع للإنسان أن ينظر إلى مخطوبته حتى تطيب نفسه بها؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣]، ويتفرع عن هذه الفائدة تبين خطأ ما يستعمله بعض البادية من إجبار الإنسان على نكاح ابنة عمه مع أنه لا يريدها؛

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ٢٣، ١/ ١٤٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٥٩، ٢/ ٣٦٨.

لأن الله يقول: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم﴾ [النساء:٣]، فإذا كان الرجل لا تطيب نفسه بهذه المرأة فكيف يتزوجها؟ فما يفعله بعض البادية لا شك أنه خطأ مخالف للشرع، فإن ابنة عمه إذا لم يتزوجها تزوجها غيرُه من الناس[(١)].

٨٣- خشية الناس كخشية الله عَزَّوَجَلَّ

في قول الله تعالى: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء:٧٧] ذم من خشي الناس كخشية الله أو أشد، وعلامة ذلك: أن الإنسان يترك ما أوجب الله عليه خوفًا من الناس، أو يفعل المحرم خوفًا من الناس، فإن هذا مذموم، وقد يصل أحيانًا إلى الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، فالواجب على العبد ألا يخشى الناس كخشية الله؛ لأن الناس كما قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**اعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»، فأنت أيها الإنسان؟ مأمور بفعل الأسباب التي توصلك إلى المنفعة، وترك الأسباب التي توصلك إلى المضرة، أما أن يكون ذلك على حساب دينك فهذا لا يجوز[(٢)].

٨٤- العذر بالجهل

العذر بالجهل؛ لقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ [النساء:١١٥]، فلو أنكر الإنسان شيئًا مما جاء به الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وصار يحاج عليه، لكنه جاهل فإنه معذور؛ لأن الآية صريحة: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ [النساء:١١٥][(٣)].

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ٣، ١/ ٣١.
(٢) سورة النساء، الآية رقم ٧٧، ١/ ٥٥٣.
(٣) سورة النساء، الآية رقم ١١٥، ٢/ ٢٢٨.

٨٥- ميزان محبة الله عَزَّوَجَلَّ

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، هذه الآية يسميها بعض السلف آية المحنة، يعني: آية الاختبار والامتحان؛ وذلك أن قومًا ادعوا أنهم يحبون الله، فأمر الله نبيه أن يتحداهم بهذا الميزان، وهو: إن كانوا صادقين فليتبعوا الرسول ﷺ، سواء كانوا من اليهود أو من النصارى أو من المنافقين، المهم: أي واحد يدعي أنه يحب الله فهذا الميزان[١].

٨٦- من أراد الآخرة لم تفته الدنيا

يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ﴾ [النساء:١٣٤]، أي: جزاءها ومتعها وزهرتها فقد فاته الخير الكثير؛ لأنه حُرم ما عند الله من ثواب الدنيا والآخرة؛ ولهذا لم يقل: من كان يريد ثواب الدنيا نؤته منها، كما جاء ذلك في آية أخرى: ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى:٢٠] بل جاء الجواب على خلاف ما يتوقع السامع، فكأنه لم ينل شيئًا.

وهذه الآية لها شواهد كثيرة: أن من أراد الدنيا فإن الدنيا والآخرة تفوتانه، ثم لا ينال ما أراد من الدنيا؛ كقول الله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩].

ومن أراد الآخرة لا تفوته الدنيا؛ ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ٣١، ١/ ١٨٨.

ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى:٢٠]، فمن أراد الآخرة لم تفته الدنيا، ومن أراد الدنيا فقد تفوته الدنيا والآخرة، وإن أتته الدنيا فإنه لا يؤتى منها كل ما يريد[١].

٨٧- الابتلاء يُنقِّي

إن الله تعالى قد يبتلي عباده بما ينقي قلوبهم، ويخلصها من الشوائب؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ﴾ [آل عمران:١٥٤]، والتمحيص كما قلنا التنقية[٢].

٨٨- التفكير في خلق السماوات والأرض

للتفكر في خلق السماوات والأرض فضيلة عظيمة؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٩١]، ولكن التفكر المقرون بقول: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [آل عمران:١٩١] ليس التفكر الذي يراد به الاطلاع على العلم المادي فقط في خلق السموات؛ لأن هذا التفكر وإن كان يفيد الإنسان في الدنيا، لكنه لا يفيده في الآخرة، لابد أن يكون التفكر هذا منتجًا هذا القول والإقرار: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [آل عمران:١٩١][٣].

٨٩- الإنسان والعمل

إن من سعى في الهجرة، وأدركه الموت فإن أجره ثابت كامل، ويؤخذ هذا من قوله: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ﴾

(١) سورة النساء، الآية رقم ١٣٤، ٢/ ٣٢٠، ٣٢١.
(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٥٤، ٢/ ٣٣٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية رقم ١٩١، ٢/ ٥٤٦، ٥٤٧.

[النساء:١٠٠]، ويقاس على ذلك بقية الأعمال، فمن خرج إلى المسجد يريد الصلاة فمات في أثناء الطريق يكتب له أجر الصلاة[1].

٩٠- صفة الحكمين في الإصلاح بين الزوجين

لا بد أن يكون عند الحكمين علم بالشرع؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ [النساء:٣٥]؛ لأن الحكم لا يمكن أن يحكم إلا بعد العلم، ولا بد أن يكون لديهما أمانة وثقة دينية؛ لأن غير الثقة لا يؤمن، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [الحجرات:٦] والحاكم مخبر وملزم وفاصل، فهو مخبر عن حكم الله ملزم بما يحكم به فاصل بين الخصمين، فلا بد أن يكون عدلا في دينه.

الإشارة إلى أنه ينبغي أن يكون الحاكم عالمًا بأحوال من يحكم فيهم، لقوله: ﴿من أهله﴾.. و﴿من أهلها﴾؛ لأن الذي من أهله وأهلها أقرب إلى العلم بحالهم من الرجل الأجنبي.

٩١- الحذر من التقلب

يجب على الإنسان أن يحذر من التردد والتقلب؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء:١٣٧]، فإن الغالب أن من هذه حاله لا يبارك له في عمره، ولا في عمله، فكونه كل يوم له رأي، وكل يوم له عمل، هذا لا شك أنه يضيع عليه الوقت،

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ١٠٠، ٢/ ١٢٨.

ولا يستفيد من عمره شيئا، ولهذا يذكر عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنها قالت: من بورك له في شيء فليلزمه، وهذا عام في كل شيء، في العمل، حتى في السيارة إذا بورك لك فيها فالزمها [1].

٩٢- التمني

إن التمني لا يجدي شيئًا؛ لقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء:١٢٣]، وهذا يشهد لما يروى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني**»[2].

٩٣- العمل المبني على الإيمان

إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يضيع أجر عمل عامل إذا كان مبنيًّا على الإيمان؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]؛ كل عمل تعمله صادر عن إيمانك فإنه لن يضيع؛ ستجده مسجلًا - قولًا كان، أو فعلًا، أو همًّا بالقلب، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة**»[3].

٩٤- اسأل الله عَزَّوَجَلَّ العفو!

ينبغي للإنسان سؤال الله العفو؛ لأن الإنسان لا يخلو من تقصير في المأمورات؛ فيسأل الله العفو عن تقصيره؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ [البقرة:٢٨٦]؛

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ١٣٧، ٢/ ٣٤١، ٣٤٢.
(٢) سورة النساء، الآية رقم ١٢٣، ٢/ ٢٥٨.
(٣) سورة البقرة، الآية رقم ١٤٣، ٢/ ١٢١.

وسؤال الله المغفرة من ذنوبه التي فعلها؛ لقوله تعالى: ﴿واغفر لنا﴾؛ لأن الإنسان إن لم يغفر له تراكمت عليه الذنوب، ورانت على قلبه، وربما تُوبقه، وتهلكه[1].

٩٥- التفريط في حق النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

إن التفريط في حقِّ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قد يكون ذنبًا؛ لأن الله لما أمر نبيه بالعفو عن حقِّه الخاص قال: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٩] وهو كذلك، فإن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ليس كغيره؛ لأن له حق الإسلام وحق الرسالة؛ ولأنه أعظم الناس حقوقًا علينا، فالاعتداء في حقه أشد من غيره، بل يكسب الإثم؛ ولهذا قال: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٩]، أما غير الرسول وإذا عفا عن حقِّه الخاص انتهى، لكن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما كان الأمر الذي يتعلق به متعلقًا بحق الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ولهذا إذا سبَّ أحد شخصًا من الناس لم يكفر، ولو سبَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كفر لعظم حقه[2].

٩٦- الانبساط بالنعم

إذا أنعم الله على الإنسان بنعمة فينبغي أن يتبسط بها، ولا يحرم نفسه منها؛ لقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة:٥٧]؛ فإن الإنسان لا ينبغي أن يتعفف عن الشيء المباح؛ ولهذا قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «من امتنع من أكل الطيبات لغير سبب شرعي فهو مذموم»؛ وهذا صحيح؛ لأنه ترك ما أباح الله له،

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٢٦٨، ٣/ ٤٦٠.
(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٥٩، ٢/ ٣٦٩، ٣٧٠.

وكأنه يقول: إنه لا يريد أن يكون لله عليه منة؛ فالإنسان لا ينبغي أن يمتنع عن الطيبات إلا لسبب شرعي؛ والسبب الشرعي قد يكون السبب يتعلق ببدنه؛ وقد يكون السبب يتعلق بدينه؛ وقد يكون السبب يتعلق بغيره؛ فقد يمتنع الإنسان عن اللحم؛ لأن بدنه لا يقبله، فيكون تركه له من باب الحمية؛ وقد يترك الإنسان اللحم؛ لأنه يخشى أن تتسلى به نفسه حتى يكون همه أن يذهب طيباته في حياته الدنيا؛ وقد يترك الإنسان الطيب من الرزق مراعاة لغيره، مثل ما يذكر عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عام الرمادة - عام الجدب المشهور - أنه كان لا يأكل إلا الخبز والزيت، حتى اسود جلده، ويقول: بئس الوالي أنا إن شبعت والناس جياع؛ فيكون تركه لذلك مراعاة لغيره؛ إذا من امتنع من الطيبات لسبب شرعي فليس بمذموم [(١)].

٩٧- التوسل بالربوبية حال الدعاء

التوسل إلى الله بربوبيته من آداب الدعاء التي يتوسل بها الرسل؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٠]؛ لأن إجابة الدعاء من مقتضيات الربوبية؛ إذ إنه فعل؛ وكل ما يتعلق بأفعال الرب فهو من مقتضيات الربوبية؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ حين ذكر الرجل يطيل السفر يمد يديه إلى السماء: «يقول: يا رب، يا رب»؛ ولو تأملت أكثر أدعية القرآن لوجدتها مصدرة بـ«الرب»؛ لأن إجابة الدعاء من مقتضيات الربوبية [(٢)].

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٥٧، ١/ ١٩٦، ١٩٧.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٢٦٠، ٣/ ٣٠٢، ٣٠٣.

٩٨- علو الله عَزَّوَجَلَّ

في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾ [البقرة:١٥٩] إثبات علو الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن النزول إنما يكون من أعلى، وعلو الله بذاته ثابت بالكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة(١).

٩٩- الذنوب حاجزة عن العلم

يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء:١٠٥، ١٠٦]، استنبط بعض العلماء أن الذنوب تحول بين الإنسان وبين معرفة الصواب، كما قال تعالى: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [المطففين:١٣، ١٤]، فهم يقولون: إن القرآن أساطير الأولين إلا لأنه حيل بينهم وبين معرفة حقيقته بسبب ذنوبهم، التي رانت على قلوبهم، وهذا القول وجيه، فعلى الإنسان إذا أراد أن يفتي أن يقدم بين يدي فتواه الاستغفار، لاسيما إذا التبست عليه المسألة، أو اشتبه عليه الحكم، فهو يدعو بذلك، وكذلك يدعو بقوله: «اللهم اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»(٢).

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ١٥٩، ٢/ ١٩١.
(٢) سورة النساء، الآية رقم ١٠٥، ١٠٦، ٢/ ١٨١، ١٨٢.

١٠٠ - الإيمان يزيد وينقص

في قول الله تعالى عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة:٢٦٠] إثبات زيادة الإيمان في القلب؛ وفيه رد على من قال: إن الإيمان لا يزيد، ولا ينقص؛ ولا ريب أن هذا القول ضعيف؛ لأن الواقع يكذبه؛ والنصوص تكذبه أيضًا؛ ففي القرآن قال الله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح:٤]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤]؛ وفي السنة: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**»؛ فالإيمان يزيد كمية، وكيفية؛ فمثال زيادة الكمية: أن الذي يسبح عشرًا أزيد إيمانًا من الذي يسبح خمسًا؛ والذي يصلي عشر ركعات أزيد إيمانًا من الذي يصلي ستًّا؛ وأما زيادة الكيفية فمثالها: رجل صلى ركعتين بطمأنينة، وخشوع، وتأمل فإيمانه أزيد ممن صلاهما بسرعة؛ كذلك يزداد الإيمان بحسب إقرار القلب، كلما كثرت الآيات لدى الإنسان فلا شك أن إيمانه يزداد قوة، ورسوخًا؛ اقرأ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ أي: على طرف ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج:١١]، هذا إيمانه ضعيف مهزوز، إن لم تأته فتنة فهو مستقر؛ وإن أتته فتنة ـ شبهة، أو شهوة ـ انقلب على وجهه؛ والقول الراجح الذي لا شك فيه، والذي تدل عليه الأدلة السمعية، والواقعية أن الإيمان يزيد وينقص (١).

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٢٦٠، ٣/ ٣٠٥- ٣٠٧.

١٠١ - معنى التوكل

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء:٨١]، التوكل على الله قال العلماء: هو صدق الاعتماد على الله عَزَّوَجَلَّ، مع الثقة به، **وفعل السبب الذي أمر به. فهو مكون من ثلاثة معان:**

الأول: صدق الاعتماد على الله.

الثاني: الثقة بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن التوكل لا ينفع إذا لم يكن صاحبه واثقًا بوعد الله، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

الثالث: فعل الأسباب التي أمر بها، فمن لم يفعل الأسباب فهو ليس متكلًا، ولكنه متواكل، فلا بد من فعل الأسباب[1].

١٠٢ - القبر والمثوى الأخير

قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر:١، ٢] استدل به عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن الزائر لابد أن يرجع إلى وطنه، وأن القبور ليست بدار إقامة، وكذلك يذكر عن بعض الأعراب أنه سمع قارئ يقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ فقال: «والله ما الزائر بمقيم والله لنبعثن»، لأن الزائر كما هو معروف يزور ويرجع، فقال: والله لنبعثن. وهذا هو الحق، وبهذا نعرف أن ما يذكره بعض الناس الآن في الجرائد وغيرها يقول عن الرجل إذا مات: «إنه انتقل إلى مثواه الأخير»، إن هذا كلام باطل وكذب؛ لأن القبور ليس هي المثوى الخير،

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ٨١، ٢/ ١١.

بل لو أن الإنسان اعتقد مدلول هذا اللفظ لصار كافرًا بالبعث، والكفر بالبعث ردة عن الإسلام، لكن كثيرًا من الناس يأخذون الكلمات ولا يدرون ما معناها، ولعل هذه موروثًا عن الملحدين الذين لا يقرون بالبعث بعد الموت، لهذا يجب تجنب هذه العبارة، فلا يقال عن القبر: إنه المثوى الأخير؛ لأن المثوى الأخير إما الجنة، وإما النار في يوم القيامة [1].

١٠٣ - المؤمن مع المصائب

ينبغي على المؤمن كلما ضاقت عليه المصائب أن يلجأ إلى ربه، ويزداد إيمانًا به، لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢]، فالمؤمن كلما أصابته النكبات والمصائب ازداد إيمانًا بالله ومعرفة به [2].

١٠٤ - الذنوب الصغيرة قد تنقلب كبيرة والعكس صحيح

يجب المبادرة بالتوبة؛ لقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء:١٧]، ووجهه: أن المراد بالقرب هنا الموت، والموت ليس معلومًا وقته، وإذا كان كذلك كانت المبادرة بالتوبة واجبة؛ لأن الإنسان لا يدري ما يعرض له؛ ولأن الإنسان إذا أصر على المعصية فإنه يقسو قلبه، وتكون هذه الصغيرة من صغائر الذنوب كبيرة؛ ولهذا ذكر بعض العلماء: أن التهاون بالمعاصي والاستمرار في

---

(١) سورة التكاثر، الآية رقم ١، ٢، ص٣٠٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٧٣، ٢/ ٤٤٩.

المعصية الصغيرة يجعلها كبيرة، فإذا فعل الإنسان صغيرة تهاونًا بالله، وبأوامر الله؛ صارت كبيرة؛ لما قام بقلبه من التهاون بها، وإذا فعل الكبيرة مع شدة تعظيمه لله عَزَّوَجَلَّ، وخوفه منه، وخجله منه، لكن سولت له نفسه أن يفعلها، فإن ذلك يجعلها صغيرة، والرجل الذي كان يُضرب في الخمر، لما لعنه أحد الصحابة قال له النبي: «**إنه يحب الله ورسوله**»، فالإنسان العاصي قد يكون في قلبه من هيبة الله تعالى وإجلاله وتعظيمه؛ ما يجعله عند فعل المعصية خجلا من الله، مستحييًا منه، فتنقلب الكبيرة صغيرة بما قارنها من خوف الله وتعظيمه وإجلاله؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات، والعكس بالعكس[1].

١٠٥ - اتبع الحق ولا تتردد

في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [النساء:٧٢] دليل على أن التكاسل في الخير، والتراجع عنه من أسباب النفاق، وهو كذلك، والتباطؤ عن الخير والتكاسل عنه ليس سببًا للنفاق فحسب، بل هو سبب للضلال والعمى، والعياذ بالله! كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام:١١٠]، وقال الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق:٥]؛ ولهذا يجب على الإنسان متى تبين له الحق أن يأخذ به، وألا يتهاون، لئلا يصيبه ما أصاب هؤلاء، بل يسارع ويعمل، وقد أحسن من انتهى إلى ما سمع[2].

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ١٧، ١/ ١٤٠، ١٤١.
(٢) سورة النساء، الآية رقم ٧٢، ١/ ٥٢٢.

١٠٦ - شروط التوبة

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١١٠]، أي: يطلب مغفرة الله عَزَّوَجَلَّ بحاله ومقاله، أما المقال فظاهر، كأن يقول: اللهم اغفر لي، أو أستغفر الله، وأما الحال: فبأن يكون آتيًا بشروط التوبة الخمسة، وهي:

الأول: الإخلاص، بألا يحمله على التوبة مراعاة أحد من الناس.

الثاني: أن يندم، ويقع في نفسه حسرة على فعل الذنب.

الثالث: أن يقلع عن الذنب.

الرابع: العزم على ألا يعود.

الخامس: أن يكون في وقت التوبة؛ أي: في الوقت الذي تقبل فيه التوبة[١].

١٠٧ - الدعاء للذرية بالصلاح

ينبغي للإنسان أن يدعو لذريته بالإمامة، والصلاح؛ لقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة:١٢٤]، وإبراهيم طلب أن يكون من ذريته أئمة، وطلب أن يكون من ذريته من يقيم الصلاة: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم:٤٠][٢].

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ١١٠، ٢/ ١٩٥.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم ١٢٥، ٢/ ٤٣.

١٠٨ - وصية الأنبياء

التوحيد وصية الأنبياء؛ لقوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ﴾ [البقرة:١٣٣][(١)].

١٠٩ -قطع الأرحام

التحذير من قطع ما أمر الله به أن يوصل من الأرحام ـ أي الأقارب ـ وغيرهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة:٢٧]؛ لأن الله ذكر ذلك في مقام الذم؛ وقطع الأرحام من كبائر الذنوب؛ لقول النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة قاطع**»، يعني قاطع رحم[(٢)].

١١٠ - الصدقة وتضييق الرزق

ليس الإنفاق سبب الإقتار، والفقر؛ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ [البقرة:٢٤٥]؛ لأن ذكر هذه الجملة بعد الحث على الإنفاق يشير إلى أن الإنفاق لا يستلزم الإعدام، أو التضييق؛ لأن الأمر بيد الله سبحانه وتعالى؛ وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما نقصت صدقة من مال**»، وكم من إنسان أمسك، ولم ينفق في سبيل الله، فسلط الله على ماله آفات في نفس المال، كالضياع، والاحتراق، والسرقة، وما أشبه ذلك؛ أو آفات تلحق هذا الرجل ببدنه، أو بأهله يحتاج معها إلى أموال كثيرة؛ وقد يتصدق الإنسان، وينفق، ويوسع الله له في الرزق[(٣)].

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ١٣٣، ٢/ ٧٩.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٢٧، ١/ ١٠٣.

(٣) سورة البقرة، الآية رقم ٢٤٥، ٣/ ٢٠٤.

١١١ - إن الله عَزَّوَجَلَّ سريع الحساب

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران:١٩٩]،فيه بيان قدرة الله عَزَّوَجَلَّ في سرعة حسابه حيث قد أورد بعض الصحابة على الرسول ﷺ إشكالًا في هذا المعنى وقال: كيف يحاسبنا في ساعة ونحن جمع - يعني كثير -؟ فقال: «**ألا أخبرك بشيء من آلاء الله** - أي من آياته - **يقرب لك هذا؟**»، وذكر له القمر.

القمر مخلوق من مخلوقات الله، وكل الناس يرونه في ساعة واحدة لا يضامون في رؤيته، فإذا كان هذا في مخلوق من مخلوقات الله يضيء نوره على كل من رآه، ويشترك فيه من العالم ما لا يحصيه إلا الله، فما بالك بالخالق جَلَّ وَعَلَا؟![1].

١١٢ - السحر

إن تعلم السحر، وتعليمه كفر؛ وظاهر الآية أنه كفر أكبر مخرج عن الملة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢]؛ وهذا فيما إذا كان السحر عن طريق الشياطين؛ أما إذا كان عن طريق الأدوية، والأعشاب، ونحوها ففيه خلاف بين العلماء[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١٩٩، ٢/ ٥٩٨.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم ١٠٢، ١/ ٣٣١.

مقصود الشيخ: أن يستخدم الشخص أدوية وتركيبات كيميائية تغير مزاج الشخص الذي يأكلها، وسميت سحرًا من جهة اللغة؛ حيث إن السحر كل شيء خفي سببه.

١١٣ - كتم العلم من الكبائر

كتم العلم من كبائر الذنوب؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩]، يؤخذ هذا من ترتيب اللعنة على فاعله، والذي يترتب عليه اللعنة لا شك أنه من كبائر الذنوب.

وأيضًا وجوب نشر العلم عند الحاجة إليه سواء ظهرت الحاجة بلسان الحال، أو بلسان المقال، ولسان الحال: أن ترى إنسانًا يعمل عملًا ليس على الوجه المرضي؛ فهذا لسان حاله يدعو إلى أن تبين له الحق؛ ولسان المقال: أن يسألك سائل عن علم وأن تتعلمه؛ فيجب عليك أن تبلغه ما دمت تعلم؛ أما إذا كنت لا تعلم فإنه يجب أن تقول: «لا أدري»، أو «لا أعلم»؛ كذلك لو رأيت الناس عمَّ فيهم الجهل في مسألة من أمور الدين؛ فهنا الحاجة داعية إلى البيان؛ فيجب أن تبين [١].

١١٤ - كيف تنال ولاية الله عَزَّوَجَلَّ

كل من كان أكمل إيمانا فولاية الله له أكمل؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨] هذه فائدة أخذناها من قاعدة معروفة عند أهل العلم، وهي: أن الحكم المعلق بوصف يزداد قوة بقوة هذا الوصف فيها هذه قاعدة مفيدة.. كل حكم معلق بوصف فإن هذا الحكم يزداد قوة بقوة الوصف الذي علق عليه الحكم، فإذا قلت مثلًا: أنا أحب الصالحين معناه كل من كان أصلح فهو أحب

(١) سورة البقرة، الآية رقم ١٥٩، ٢/ ١٩٠-١٩٢.

إليَّ؛ لأن المحبة علقت بالصلاح، فكلما ازداد الصلاح ازدادت المحبة، والله ولي المؤمنين علقت الولاية بالإيمان، فكلما كان الإنسان أقوى إيمانا، كانت ولاية الله له أتم وأخص.

ويتفرع على هذه الفائدة: أنه ينبغي للإنسان أن يحقق إيمانه، ويكمله بقدر استطاعته، من أجل أن ينال ولاية الله؛ لأن كل إنسان عاقل يسعى في الحقيقة إلى أن يكون الله له وليًّا، نقول: الأمر سهل.. حقق الإيمان يكن الله لك وليًّا، وكلما ازداد تحقيق الإيمان ازدادت ولاية الله لك[1].

١١٥ - مال اليتيم

يحرم ضم مال اليتيم إلى مال الولي إذا كان القصد إتلافه، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء:٢]، أما إذا ضم ماله إلى ماله لا لقصد الأكل والإتلاف، ولكن لقصد الحفظ والتجارة، فإن هذا لا بأس به، بل قد يتعين على الإنسان، فإذا ضم مال اليتيم إلى ماله لقصد الحفظ، أو لقصد التجارة، فإنه إحسان إليه، ولا يدخل في النهي؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء:٢]، ولم يقل: لا تخلطوها؛ ولهذا قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٠]، لكن في حال ضم المال إلى المال لقصد الحفظ أو التكسب، يجب أن يحتاط الإنسان في كتابة مال اليتيم الذي أدخله مع ماله، وتمام الاحتياط أن يشهد على ذلك، فيقول مثلًا:

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ٦٨، ١/ ٣٩٥.

أدخلت كذا وكذا من مال اليتيم ضمن مالي الذي اشتريت به الأرض، أو اشتريت به السيارات، وما أشبه ذلك مما يتكسب به.

وإن العدوان على مال الأيتام بأخذ الطيب وإعطاء الخبيث، أو أكل مالهم، من كبائر الذنوب؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء:٢][1].

١١٦ - مصائب الدنيا

إن المصائب في الدنيا كفارات؛ لأنها نوع من الجزاء؛ لقوله تعالى: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣]، وقد أخبر النبي ﷺ **أنه ما من غم ولا هم ولا حزن يصيب العبد إلا كفر به عنه حتى الشوكة إذا أصابته فإن الله يكفر بها عنه**[2].

١١٧ - طلب العلم الشرعي من أجل الدنيا

إن من يشترى بآيات الله ثمنًا قليلًا ففيه شبه من اليهود؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ [البقرة:٤١]، فالذين يقرؤون العلم الشرعي من أجل الدنيا يكون فيهم شبه باليهود؛ لأن اليهود هم الذين يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا؛ وفي الحديث عن النبي ﷺ: **«من تعلم علمًا مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة»**، يعنى ريحها[3].

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ٢، ١/ ٢٤، ٢٥.

(٢) سورة النساء، الآية رقم ١٢٣، ٢/ ٢٦٠.

(٣) سورة البقرة، الآية رقم ٤١، ١/ ١٤٩.

١١٨ - الصدقة وانشراح الصدر

الإنفاق سبب لشرح الصدر، وطرد الهم والغم؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:٢٧٤]؛ وهذا أمر مجرب مشاهد أن الإنسان إذا أنفق يبتغي بها وجه الله انشرح صدره، وسرت نفسه، واطمأن قلبه؛ وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في زاد المعاد أن ذلك من أسباب انشراح الصدر[1].

١١٩ - رد التحية

يجب رد التحية؛ لقوله تعالى: ﴿فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء:٨٦]، والأصل في الأمر الوجوب.

ورد التحية يكون على وجهين، مجزئ وأفضل، فالمجزئ مأخوذ من قوله: ﴿أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء:٨٦]، والأكمل والأفضل من قوله: ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَآ ﴾ [النساء:٨٦]، وقدَّم الأحسن على المثل؛ لأنه أكمل وأفضل.

ومراعاة الإسلام للعدل؛ لقوله: ﴿فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء:٨٦].

الآية عامة في كل من ألقى إلينا التحية أن نحييه بمثل ما حيانا أو أكمل، سواء كان مسلمًا أو كافرًا، صغيرًا أو كبيرًا؛ لأن الآية عامة؛ ولهذا قال: ﴿حُيِّيتُم﴾ بالبناء للمجهول، ولم يقل: حياكم المسلمون.

وبناء على ذلك نقول: إذا سلم علينا أهل الكتاب فقالوا: السلام عليكم،

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٢٧٤، ٣/ ٣٧٣.

بلفظ صريح، فنقول: وعليكم السلام، أما إذا قالوها بلفظ محتمل فإننا نقول: وعليكم، فقط.

ولا يجزئ الرد بغير السلام، فإذا قال المسلم: السلام عليك، فقلت: أهلًا وسهلًا، فلا يجزئ؛ لأن هذه التحية ليست مثلها ولا أحسن منها؛ إذ إن قول المسلم: السلام عليكم، دعاء لك بالسلامة من كل الآفات البدنية والمالية والقلبية وغيرها.

لكن أهلًا وسهلًا لا تفيد إلا مجرد الترحيب باللسان، فهي ليست مثلها، وليست أحسن منها(١).

١٢٠ - إكرام الجار

أمرنا الله بالإحسان إلى الجار سواءً كان قريبًا أم بعيدًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء:٣٦]، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**»، فعلق الرسول ﷺ كمال الإيمان على إكرام الجار، والإكرام ضد الإهانة(٢).

١٢١ - المتقي والذنوب

المتقي لا يكون معصومًا من فعل الفاحشة أو ظلم النفس؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ لم يَقُل: وهم لا يفعلون الفواحش أو لا يظلمون أنفسهم، بل قال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [آل عمران:١٣٥]، ففعل الفاحشة لا يخدش التقوى إذا

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ٨٦، ٢/ ٤٠، ٤١.

(٢) سورة النساء، الآية رقم ٣٦، ١/ ٣١٠، ٣١١.

استغفر الإنسان وتاب، وقد جاء في الحديث عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أنه قال: «**كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»، وصح عنه أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قال: «**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**»، إذن ليس الشأن في ألا يفعل الإنسان المعصية، كل إنسان لا بد أن يعصي، لكن الشأن في أنه إذا فعل المعصية رجع إلى الله[1].

١٢٢ - ذوق الموت

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، أي ذائقة طعمه أي: لا بد أن تموت، ولكن الله عبر بالذوق؛ لأنه أبلغ في الحصول؛ لأن الذوق يحصل به حق اليقين، وقد قسم العلماء اليقين إلى ثلاث درجات: علم، وعين، وحق، فالعلم بالخبر، والعين بالمشاهدة، والحق بالذوق.

فإن قال قائل: هذه تفاحة وقد أخفاها في كيس، والقائل صدوق، فهذا تسميه: علم اليقين، فإذا كشفها فهو عين اليقين، فإذا أكلها المخبر فهو حق اليقين، ولهذا عبر بالذائقة؛ لأن الموت حق لا بد لكل حي من موت، إلا الحي القيوم عَزَّوَجَلَّ[2].

١٢٣ - تحذير للإنسان الطاغي

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد يُملي للظالم حتى يستمر في طغيانه، يقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:١٥]، وهي تحذير الإنسان الطاغي أن يغتر بنعم الله عَزَّوَجَلَّ، فهذه النعم قد تكون استدراجًا من الله، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُملي،

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١٣٥، ٢/ ١٨٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٨٥، ٢/ ٥١١.

كما قال تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:١٥]، ولو شاء لأخذهم، ولكنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته كما جاء في الحديث[1].

١٢٤ - التوبة توبتان

قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:٣٧] اعلم أن لله تعالى على عبده توبتين؛ التوبة الأولى قبل توبة العبد؛ وهي التوفيق للتوبة؛ والتوبة الثانية بعد توبة العبد؛ وهي قبول التوبة؛ وكلاهما في القرآن؛ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟﴾ [التوبة:١١٨]، فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أي وفقهم للتوبة، وقوله تعالى: ﴿لِيَتُوبُوٓا۟﴾ أي يقوموا بالتوبة إلى الله؛ وأما توبة القبول ففي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى:٢٥][2].

١٢٥ - الإنسان والعيش في الأرض

لا يمكن العيش لبني آدم إلا في الأرض؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة:٣٦]؛ ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف:٢٥]؛ وبناء على ذلك نعلم أن محاولة الكفار أن يعيشوا في غير الأرض إما في بعض الكواكب، أو في بعض المراكب محاولة يائسة؛ لأنه لابد أن يكون مستقرهم الأرض[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ١٥، ١/ ٥٨، ٥٩.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٣٧، ١/ ١٣٦.

(٣) سورة البقرة، الآية رقم ٣٦، ١/ ١٣٣.

١٢٦ - علق قلبك بالله تعالى رجاءً وخوفًا

ينبغي للإنسان أن يعلق الرجاء بالله خوفًا وطمعًا، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٧٣]، فإذا علمت أن الفضل بيد الله، تسأل الفضل من الله، وإذا علمت أن الفضل بيد الله فالذي تخاف أن يمنع الفضل عنك هو الله، إذن فينبغي بل يجب على المؤمن أن يعلق قلبه بالله تعالى رجاءً وخوفًا[١].

١٢٧ - الله عَزَّوَجَلَّ لا تضرُّه معصية العاصين، كما لا تنفعه طاعة الطائعين

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:١٧٦] فيه انتفاء الضرر عن الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه لا تضره معصية العاصين، كما لا تنفعه طاعة الطائعين؛ فإن قيل: إن الله قد أثبت أن بعض عباده يؤذيه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الأحزاب:٥٧]، وفي قوله في الحديث القدسي: «**يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر**» فكيف نجمع بين نفي الضرر وإثبات الأذية؟

الجواب: أن يقال: لا يلزم من الأذية الضرر، فقد يتأذى الإنسان بالشيء ولا يتضرر به، أرأيت لو صلى إلى جانبك أو جلس إلى جانبك رجل قد أكل بصلًا وثومًا فإنك تتأذى برائحته، ولكن لا تتضرر، فلا يلزم من الأذية الضرر، وحينئذٍ لا معارضة بين نفي الضرر عن الله عَزَّوَجَلَّ وإثبات الأذية [٢].

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ٧٣، ١/ ٤١٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٧٦، ٢/ ٤٦٢.

١٢٨ - ما الخير في الكلام؟

الكثير من كلام الناس ليس فيه خير؛ لقوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء:١١٤].

فما الميزان لما فيه الخير وما لا خير فيه؟

الجواب: الميزان ذكره النبي بقوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»، وفي قوله: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»، وفي **نهيه** ﷺ **عن قيل وقال وكثرة السؤال**، فهذه ثلاثة أحاديث كلها تبين ما هو الخير في الكلام(١).

١٢٩ - الإنسان وظلم النفس

إن المعاصي ظلم للنفس؛ لقوله تعالى: ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ [النساء:١١٠]، وهذا شيء ثابت مكرر في القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة:٥٧]، وقال: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [هود:١٠١]، إلى غير ذلك من النصوص الدالة على أن الإنسان هو الظالم لنفسه إذا عصى الله عَزَّوَجَلَّ(٢).

١٣٠ - المؤمن وتضييق الرزق

قال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران:١٩٦، ١٩٧]، المؤمن قد يضيق الله عليه في الرزق أحيانًا ليرجع إليه بخلاف الكافر، وإنما قلت ذلك لئلا يقول قائل: أفليس قد قال

(١) سورة النساء، الآية رقم ١١٤، ٢/ ٢١٩، ٢٢٠.
(٢) سورة النساء، الآية رقم ١١٠، ٢/ ١٩٩، ٢٠٠.

الله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦]؟

نقول: إن المؤمنين هم الذين يبتلون بالضراء من أجل أن يرجعوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١]، أما الكفار فقد تُمَهَّد لهم الدنيا ويُعْطَون ما يريدون، وتكون جنتهم دنياهم بخلاف المؤمنين(١).

١٣١ - أخذ الهدية حال الخجل

يجوز أن تسقط المرأة شيئا من المهر، أو رده إن كانت قد قبضته؛ لقوله: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء:٤]، ولو أسقطت شيئًا خجلًا أو حياءً، فإنه لا يحل قبوله؛ لقوله: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ﴾ [النساء:٤]؛ ولهذا قال العلماء: إذا أهدى إليك شخص هدية وأنت تعلم أنه إنما أهدى حياءً وخجلًا، فإنه لا يجوز أن تقبلها منه؛ لأن هذا كالإكراه.

ومن تملك شيئا عن طيب نفس فإنه يحل له حاضرًا ومستقبلًا؛ لقوله: ﴿هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾، أي: هنيئًا حين الأكل، مريئًا بعد الأكل.

ولا يحل أخذ شيء من مال الغير بغير طيب نفس منه؛ لأن الله اشترط لحل أكله أن يكون عن طيب نفس، وقد جاءت بذلك السنة صريحة، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه»**، وكذلك جاء في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء:٢٩](٢).

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١٩٦، ١٩٧، ٢/ ٥٨٥.
(٢) سورة النساء، الآية رقم ٤، ١/ ٣٧.

١٣٢ - إجماع الأمة

يجب الاحتجاج بالإجماع؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:١١٥]، فإنه يستدل بذلك على أن سبيل المؤمنين حق، وهو كذلك يعني: أن الأمة إذا أجمعت على شيء فإنه حق، ولا يمكن لهذه الأمة التي اختارها الله عَزَّوَجَلَّ، وجعلها شهيدة على الناس كما قال تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣]، وهي تشهد على أفعالهم وعلى أحكام أفعالهم، لا يمكن أن يقال: إن إجماعها ضلالة أبدًا، بل إجماعها على الشيء حق[١].

١٣٣ - التفرق عنوان الشقاء

إذا رأيت الناس متفرقين فإن هذا عنوان على شقائهم، وأن النعمة سُلبت منهم؛ لأنه تعالى قال: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران:١٠٣]، فإذا لم تتحقق الأخوة والتأليف بين القلوب فإن ذلك دليل على أن النعمة في هذا الأمر سلبت منهم[٢].

١٣٤ - العناية بالمستضعفين

ينبغي العناية بالمستضعفين من الولدان؛ لقوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ [النساء:١٢٧]، لأن المستضعف من الولدان سواء كان لصغره، أو لمرضه أو

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ١١٥، ٢/ ٢٢٨، ٢٢٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٠٣، ١/ ٦٠٤.

لجنونه، أو لغير ذلك من الأسباب التي صار بها ضعيفًا، فالعناية به لا شك أنها دليل على رحمة الإنسان، وقد قال النبي ﷺ: «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»، وقال ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن**».

ولهذا من أكبر أسباب حصول الرحمة في القلب هو: الإشفاق على الصغار، والضحك إليهم، وإدخال السرور عليهم، فإن الإنسان يجد في ذلك رقة ورحمة في قلبه، ولو بقي يدرس مجلدات لإيصال الرحمة إلى قلبه ما حصل له ذلك.

وتأمل معاملة الرسول للصغار، فمرة ركبه الحسن وهو ساجد يصلي بالناس، وتأخر في القيام من السجود، وأخبر الناس بعد سلامه أن ابنه ارتحله، وأنه أحب أن يقضي نهمته، وارتحله يعني: جعله راحلة؛ لأنه حين رآه ساجدًا ظنه يتهيأ له فركب عليه، فأقره النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مع أنه لو جاء أحد أئمة الناس اليوم ابنه وركبه لما اكتفى بإنزاله، بل قد ينفضه عن ظهره نفضًا ـ نسأل الله العافية ـ وهذا غلط [1].

١٣٥ - سؤال الناس

في قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة:٢٧٣] الثناء على من لا يسأل الناس؛ وقد كان من جملة ما بايع النبي ﷺ أصحابه: ألا يسألوا الناس شيئًا؛ حتى إن الرجل ليسقط سوطه من على بعيره، فينزل، فيأخذه ولا يقول لأخيه: أعطني إياه؛ كل هذا بعدًا عن سؤال الناس [2].

(١) سورة النساء، الآية رقم ١٢٧، ٢/ ٢٨٢، ٢٨٣.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٢٧٣، ٣/ ٣٧١.

١٣٦- عذاب القبر

عذاب القبر ثابت بالقُرآن والسُّنة والإجماع:

أما القرآن: ففي مثل هذه الآية: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ [غافر:٤٦]، ثم قال: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ﴾؛ لأن قوله: (يَوْم) ظَرْف زمان مُتعَلِّق بما بعدَه، المُتَعَلِّق بالفِعْل (ادْخُلُوا) أو ﴿أَدۡخِلُوٓاْ﴾، وهذا لا يَكون إلَّا بعد يوم القيامة، وعَرْضهم على النار غُدُوًّا وعَشيًّا يَكون قبل يوم القِيامة، ففيه إثبات عَذاب القَبْر، قلت لكم: إنه ثابت بالقرآن والسنة والإجماع، أما القرآن ففي مثل هذا.

ومن أدلة القرآن قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾ [الأنعام:٩٣]، «اليوم» هنا «أل» للعهد الحضوري، يعني: هذا اليوم الذي هو يوم موتكم، فدل ذلك على ثبوت عذاب القبر.

أما السنة: فهي متواترة في ذلك كثيرة على وجوه متنوعة عامة وخاصة:

فمن الخاصة: قوله ﷺ حين مرَّ بقبرين يعذبان: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير».

وأما الإجماع: فكل المسلمين يقولون في صلواتهم: أعوذ بالله من عذاب جهنم ومن عذاب القبر، وهذا أمر لا إشكال فيه وهو من عقيدتنا[1].

---

(١) سورة غافر، الآية رقم ٤٦، ص٣٤٦، ٣٤٧.

١٣٧ - من فضائل النبي ﷺ

في وصف النبي ﷺ بالعبودية فضيلة؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة:٢٣]، والعبودية لله عَزَّوَجَلَّ هي غاية الحرية؛ لأن من لم يعبد الله فلا بد أن يعبد غيره؛ فإذا لم يعبد الله عَزَّوَجَلَّ - الذي هو مستحق للعبادة - عبد الشيطان، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية:

هَرَبُوا مِنَ الرِّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ ... وَبُلُوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ(١)

١٣٨ - الهداية تطلب من القرآن

من أراد الهداية فليطلبها من الكتب المنزلة من السماء؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:٥٣]، لا يطلبها من الأساطير، وقصص الرهبان، وقصص الزهاد، والعباد، وجعجعة المتكلمين، والفلاسفة، وما أشبه ذلك؛ بل من الكتب المنزلة من السماء.

فعلى هذا ما يوجد في كتب الوعظ من القصص عن بعض الزهاد، والعباد، ونحوهم نقول لكاتبيها، وقارئيها: خير لكم أن تبدوا للناس كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وما صح عن رسوله، وتبسطوا ذلك، وتشرحوه، وتفسروه بما ينبغي أن يفهم حتى يكون ذلك نافعًا للخلق؛ لأنه لا طريق للهداية إلى الله إلا ما جاء من عند الله عَزَّوَجَلَّ(٢).

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم٢٣، ١/ ٨٣.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٥٣، ١/ ١٨٤، ١٨٥.

١٣٩ - الحياة الدنيا

في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة:٨٥]، وُصِفت هذه الحياة بالدنيا لدنوها زمنًا؛ لأنها سابقة على الآخرة، ولدنوها منزلة لأنها دون الآخرة، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها**»[1].

١٤٠ - البعث بعد الموت

في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٨] إثبات البعث، والبعث أنكره من أنكره من الناس، واستبعده، وقال: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس:٧٨]، **فأقام الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **على إمكان ذلك ثمانية أدلة في آخر سورة يس:**

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس:٧٩]، هذا دليل على أنه يمكن أن يحيي العظام وهي رميم، وقوله تعالى: ﴿أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ دليل قاطع، وبرهان جلي على إمكان إعادته كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧].

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٩] يعني: كيف يعجز عن إعادتها وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بكل خلق عليم: يعلم كيف يخلق الأشياء، وكيف يكونها؛ فلا يعجز عن إعادة الخلق.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس:٨٠]: الشجر الأخضر فيه البرودة، وفيه الرطوبة؛ والنار فيها الحرارة، واليبوسة؛ هذه النار الحارة اليابسة تخرج من شجر بارد رطب؛ وكان

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٨٥، ١/ ٢٧٦.

الناس فيما سبق يضربون أغصاناً من أشجار معينة بالزند؛ فإذا ضربوها انقدحت النار، ويكون عندهم شيء قابل للاشتعال بسرعة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس:٨٠] تحقيقاً لذلك.

ووجه الدلالة: أن القادر على إخراج النار الحارة اليابسة من الشجر الأخضر مع ما بينهما من تضاد قادر على إحياء العظام وهي رميم.

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ﴾ [يس:٨١].

ووجه الدلالة: أن خلْق السموات والأرض أكبر من خلق الناس؛ والقادر على الأكبر قادر على ما دونه.

الدليل الخامس: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس:٨١]؛ فـ﴿ٱلْخَلَّٰقُ﴾ صفته، ووصفه الدائم؛ وإذا كان خلّاقاً، ووصفه الدائم هو الخلق فلن يعجز عن إحياء العظام وهي رميم.

الدليل السادس: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]: إذا أراد شيئاً مهما كان؛ و﴿شَيْـًٔا﴾: نكرة في سياق الشرط، فتكون للعموم؛ ﴿أَمْرُهُۥٓ﴾ أي شأنه في ذلك أن يقول له كن فيكون؛ أو ﴿أَمْرُهُۥٓ﴾ الذي هو واحد «أوامر»؛ ويكون المعنى: إنما أمره أن يقول: ﴿كُن﴾، فيعيده مرة أخرى.

ووجه الدلالة: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يستعصي عليه شيء أراده.

الدليل السابع: قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يس:٨٣]:

كل شيء فهو مملوك لله عَزَّوَجَلَّ: الموجود يعدمه؛ والمعدوم يوجده؛ لأنه رب كل شيء.

ووجه الدلالة: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نزَّه نفسه؛ وهذا يشمل تنزيهه عن العجز عن إحياء العظام وهي رميم.

الدليل الثامن: قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:٨٣].

ووجه الدلالة: أنه ليس من الحكمة أن يخلق الله هذه الخليقة، ويأمرها، وينهاها، ويرسل إليها الرسل، ويحصل ما يحصل من القتال بين المؤمن، والكافر، ثم يكون الأمر هكذا يذهب سدًى؛ بل لابد من الرجوع؛ وهذا دليل عقلي.

فهذه ثمانية أدلة على قدرة الله على إحياء العظام وهي رميم جمعها الله عَزَّوَجَلَّ في موضع واحد؛ وهناك أدلة أخرى في مواضع كثيرة في القرآن؛ وكذلك في السنة[1].

١٤١ - الصبر على الزوجة قد يعقبه خير كثير

ينبغي للزوج أن يصبر إذا رأى من زوجته ما يكره، فإن العاقبة قد تكون حميدة؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء:١٩]، وإن كان الحكم ورد في كراهة الزوجة، فالعلة عامة، فكثيرًا ما يكره الإنسان الشيء ويجعل الله عَزَّوَجَلَّ عاقبته حميدة نافعة له، وهذا أمر مشاهد محسوس، وقد تكون العاقبة غير حميدة، لكن الغالب أن وعد الله يتحقق[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٢٨، ١/ ١٠٦ - ١٠٨.
(٢) سورة النساء، الآية رقم ١٩، ١/ ١٥٧.

١٤٢ - الغضب الشديد

إن الإنسان إذا غضب غضبًا شديدًا حتى صار لا يعلم ما يقول فإنه لا عبرة بقوله، حتى لو كان كفرًا، وحمله على ذلك شدة الغضب فإنه لا عبرة بقوله؛ لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء:٤٣]، فدل ذلك على أن جهل الإنسان بما يقول له أثر في تغير الحكم، وكذلك لو طلق في شدة الغضب وهو لا يعلم ما يقول، بل لو أنه طلق وهو يعلم ما يقول لكن صار كالمكره من شدة الغضب، فإنه لا حكم لقوله، ولا تطلق المرأة بذلك[١].

١٤٣ الخيانة من الكبائر

الخيانة من كبائر الذنوب، يؤخذ هذا من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء:١٠٧]؛ لأنه إذا رُتِّبَ على العمل عقوبة خاصة فهو من الكبائر، وهذا أحسن ما قيل في حد الكبيرة، وذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فكل شيء يرتب عليه عقوبة خاصة فهو من الكبائر، سواء كانت العقوبة لعنة، أو غضبًا أو نفي إيمان، أو تبرؤًا منه، أو غير ذلك[٢].

١٤٤ - سحر الأزواج

من عِظم السحر أن يكون أثره التفريق بين المرء وزوجه؛ لقوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦ﴾ [البقرة:١٠٢]؛ لأنه من أعظم الأمور المحبوبة إلى الشياطين، كما ثبت في الحديث الصحيح: «**أن إبليس يضع**

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ٤٣، ١/ ٣٥٠، ٣٥١.

(٢) سورة النساء، الآية رقم ١٠٧، ٢/ ١٨٥.

عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئًا، ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرَّقت بينه وبين امرأته، فيدنيه منه، ويقول: نِعْم أنت»[١].

١٤٥ - النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وعلم الغيب

النبي ﷺ لا يعلم الغيب؛ لقوله تعالى: ﴿يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [آل عمران:١٥٤]؛ لأنه لو كان يعلم الغيب لكان يعلم ما يخفون وإن لم يبدوه، ولكن النبي ﷺ لا يعلم الغيب لا في حياته ولا بعد مماته، وإذا كان لا يعلم الغيب في حياته فعدم علمه الغيب في مماته من باب أولى، وقد صرَّح الله بذلك حيث أمره أن يقول: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام:٥٠] أمر الله أن يعلن هذا وقد أعلنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على الملأ، لم يكتم شيئا مما أوحاه الله إليه ومنه هذا[٢].

١٤٦ - هل العفو واجب؟

يقول تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٩]، هل العفو واجب؟ الجواب: إنه ليس بواجب؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى:٤١]، فمن انتصر لنفسه بعد أن ظلم فليس عليه سبيل، لكن الأفضل أن يعفو إذا كان في العفو إصلاح[٣].

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ١٠٢، ١/ ٣٣٢.
(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٥٤، ٢/ ٣٣٨.
(٣) سورة آل عمران، الآية رقم ١٥٩، ٢/ ٣٦٩.

١٤٧ - لا أحد يستغني عن دعاء الله عَزَّوَجَلَّ

جميع الخلق مفتقرون إلى الله عَزَّوَجَلَّ، حتى الأنبياء لا يستغنون عن دعاء الله؛ لقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران:٣٨](١).

١٤٨ - كلما كَثُر المالُ ازدادت الفتنة في شهوته

كلما كثر المال ازدادت الفتنة في شهوته؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ [آل عمران:١٤]، بعد قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [آل عمران:١٤]؛ ولهذا نجد بعض الفقراء يجود بكل ماله، والغني لا يجود بكل ماله، بل بعض الأغنياء ـ نسأل الله العافية ـ يبتلون كلما كَثُر مالهم اشتد بخلهم ومَنْعهم(٢).

١٤٩ - أنواع الذنوب

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:١١٤]، إن الذنب إذا كان فيه تَعَدٍّ على العباد، فإن الله قد يجمع لفاعله بين العقوبتين: عقوبة الدنيا، وعقوبة الآخرة؛ عقوبة الدنيا ليشفي قلب المظلوم المعتدى عليه؛ ولا شك أن الإنسان إذا اعتدى عليك، ثم رأيت عقوبة الله فيه أنك تفرح بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اقتص لك منه؛ أما إذا كان في حق الله فإن الله

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ٣٨، ١/ ٢٣٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٤، ١/ ٩٣.

تعالى لا يجمع عليه بين عقوبتين؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠][1].

١٥٠ - الرد على أهل الباطل

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾ [البقرة:١٢] فيه قوة الرد على هؤلاء الذين ادعوا أنهم مصلحون، فأكد إفسادهم بثلاثة مؤكدات، وهي «ألا»، و«إن»، و«هم»، بل حصر الإفساد فيهم عن طريق ضمير الفصل[2].

١٥١ - الإيمان ليس مجرد التصديق

قال تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة:٢١٣]، الإيمان في اللغة: التصديق، ولكنه في الشرع: التصديق المستلزم للقبول، والإذعان، وليس مجرد التصديق إيمانًا؛ إذ لو كان مجرد التصديق إيمانًا لكان أبو طالب مؤمنًا؛ لأنه كان يقر بأن محمدًا ﷺ صادق[3].

١٥٢ - الاستغفار النافع

إن الرجل إذا أذنب فاستغفر، ثم أذنب فاستغفر، ثم أذنب فاستغفر، فإنه يغفر له، وإن تكرر الذنب منه؛ لأن الله قال هنا: ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥]، ولم يقل: «ولم يعيدوا ما فعلوا»، والإنسان إذا كان كلما أذنب استغفر فإنه يغفر له؛ لقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]، ويجب ألا

(١) سورة البقرة، الآية رقم ١١٤، ٢/ ١١.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم ١٢، ١/ ٤٨.
(٣) سورة البقرة، الآية رقم ٢١٣، ٣/ ٣٠.

يكون استغفاره بلسانه، وقلبُه منطوٍ على الرجوع، فإن كان كذلك فإن الاستغفار لا يفيده، لكن يكون استغفاره حقيقة بقلبه ولسانه، والإنسان ربما تغلبه نفسه في المستقبل فيفعل المعصية مع أنه قد استغفر منها فنقول: مهما عملت ومهما تكرر منك الذنب ما دمت تستغفر فإن الله تعالى يغفر لك[1].

١٥٣ - الحكم على الظاهر

الواجب علينا معاملة الخلق بالظاهر؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء:٩٤]، ولم يقل: لست مسلمًا؛ لأنه ألقى السلام واستسلم، لكن لا تقولوا: لست مؤمنًا، يعني: لم يدخل الإيمان في قلبك[2].

١٥٤ - الصلاة وحضور القلب

الحث على حضور القلب في الصلاة؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء:٤٣]، والقلب إذا غاب فإن الإنسان لا يعلم ما يقول، وإنما يقول على سبيل العادة فقط، وإلا لو أنه رجع إلى نفسه لتبيَّن له أنه لا يدري ما يقول؛ أي: لا يدري معنى ما يقول، وإن كان قد يدري أنه لفظ[3].

١٥٥ - الاعتناء بأعمال القلوب

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء:٩٤]، فيه بيان أن الواجب علينا أن نجري الأحكام في الدنيا على ظاهر الحال؛ لأننا لا نعلم ما في القلوب، وأما في الآخرة فالأحكام تجري على ما في القلوب، كما قال

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١٣٥، ٢/ ١٩٠.

(٢) سورة النساء، الآية رقم ٩٤، ٢/ ٩٥، ٩٦.

(٣) سورة النساء، الآية رقم ٣٤، ١/ ٣٥١.

تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق:٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [العاديات:٩، ١٠]؛ ولهذا يجب على الإنسان أن يعتني بعمل القلب أكثر مما يعتني بعمل الجوارح؛ لأن عمل الجوارح قد يدخلها الهوى، وقد يتصنع الإنسان بعمله للدنيا، ولكسب الناس، وللجاه، وللمال ولغير هذا، لكن عمل القلب لا يمكن أن يتصنع فيه الإنسان؛ لأنه لا يقع إلا بإخلاص إذا كان صالحًا[1].

١٥٦ - التشبه بالكفار

في قوله تعالى: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران:١٥٦] الإشارة إلى النهي عن التشبه بالكفار؛ والتشبه بالكفار اختلف فيه العلماء، فذهب أصحاب الإمام أحمد رحمه الله في المشهور عنهم إلى أن التشبه بالكفار مكروه، والمكروه عند الفقهاء كراهة تنزيه، أي: يثاب تاركه امتثالًا، ولا يعاقب فاعله، لكن قولهم هذا ضعيف، والصواب أن التشبه بالكفار حرام، ولما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حديث: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» في كتابه القيم الذي أشير به على كل طالب علم وهو «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» لما ذكر هذا الحديث قال: وأقل أحوال هذا الحديث التحريم؛ وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم؛ لأن قوله: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» ظاهره أنه كافر، فالاقتصار على الكراهة التي يراد بها كراهة التنزيه عند الفقهاء فيه نظر ظاهر.

المهم أن في هذه الآية إشارة إلى النهي عن التشبه بالكفار، لا سيما إذا كان الفعل نفسه محرمًا، فإن قولهم هذا فيه اعتراض على القدر[2].

(١) سورة النساء، الآية رقم ٩٤، ٢/ ٩١، ٩٢.
(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٥٦، ٢/ ٣٥٠، ٣٥١.

١٥٧ - لا مفر من قضاء الله عَزَّوَجَلَّ

قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٤]، فيه بيان أن قضاء الله لا مفر منه[١].

١٥٨ - ربوبية وعبودية الله عَزَّوَجَلَّ عامة وخاصة

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة:٢٦] فيه إثبات الربوبية الخاصة لله تعالى؛ واعلم أن ربوبية الله تعالى تنقسم إلى قسمين: عامة؛ وخاصة؛ فالعامة هي الشاملة لجميع الخلق، وتقتضي التصرف المطلق في العباد؛ والخاصة هي التي تختص بمن أضيفت له، وتقتضي عناية خاصة؛ وقد اجتمعتا في قوله تعالى: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [الأعراف:١٢١، ١٢٢]، فالأولى ربوبية عامة؛ والثانية خاصة بموسى وهارون؛ كما أن مقابل ذلك «العبودية» تنقسم إلى عبودية عامة، كما في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣]، وخاصة كما في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [الفرقان:١]؛ والفرق بينهما أن العامة هي الخضوع للأمر الكوني؛ والخاصة هي الخضوع للأمر الشرعي؛ وعلى هذا فالكافر عبد الله بالعبودية العامة؛ والمؤمن عبد الله بالعبودية العامة والخاصة[٢].

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١٥٤، ٢/ ٣٣٨.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٢٦، ١/ ٩٩، ١٠٠.

١٥٩ - الدعاء بالذرية الطيبة

لا ينبغي للإنسان أن يسأل مطلق الذرية؛ لأن الذرية قد يكونون نكدًا وفتنة، وإنما يسأل الذرية الطيبة؛ لقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران:٣٨][١].

١٦٠ - طاعة ولي الأمر تابعة لطاعة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله

يجب طاعة ولاة الأمور؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩]، لكن طاعة ولاة الأمور من طاعة الله؛ لأن الله تعالى أمر بذلك، وأنهم لو أمروا بما يخالف طاعة الله ورسوله ﷺ، فلا طاعة لهم؛ لأن الله جعل طاعتهم تابعة لطاعته ولطاعة رسوله ﷺ فقال: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩][٢].

١٦١ - متى يثبت المهر؟

المهر يثبت باستمتاع الزوج بزوجته؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء:٢٤]، وعلى هذا فيثبت المهر بالجماع وبالاستمتاع بالمرأة استمتاعًا لا يكون إلا من الزوج مع زوجته؛ كالتقبيل والضم ونحو ذلك، ويثبت أيضًا بالخلوة، كما جاء ذلك عن الخلفاء الراشدين[٣].

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ٣٨، ١/ ٢٣٨.

(٢) سورة النساء، الآية رقم ٥٩، ١/ ٤٥٠، ٤٥١.

(٣) سورة النساء، الآية رقم ٢٤، ١/ ٢١٤.

١٦٢ - التيمم

يجوز التيمم على وجه الأرض كله؛ من رمل، أو حصى، أو تراب، أو سبخة، أو جَصٍّ، أو غير ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا﴾ [النساء:٤٣] ولم يقيِّد، ولقول النبي ﷺ: «**الصعيد الطيب وضوء المسلم، وإن لم يجد الماء عشر سنين**»[١].

١٦٣ - من آثار المعاصي

المعاصي والفسوق سبب للفساد في الأرض؛ لقوله تعالى: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة:٢٧]، بعدما قال تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ [البقرة:٢٧]، كما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١]؛ ولهذا إذا قحط المطر، وأجدبت الأرض، ورجع الناس إلى ربهم، وأقاموا صلاة الاستسقاء، وتضرعوا إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتابوا إليه، أغاثهم الله عَزَّ وَجَلَّ؛ وقد قال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح:١٠][٢].

١٦٤ - من أسباب الرِّضا بقضاء الله عَزَّ وَجَلَّ وقدره

في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٦٦] تسلية للمؤمن بقضاء الله وقدره؛ لأن المؤمن إذا علم أنه من عند الله رَضِي وسلَّم[٣].

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ٣٤، ١/ ٣٥٦.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٢٧، ١/ ١٠٤.
(٣) سورة آل عمران، الآية رقم ١٦٦، ٢/ ٤٢٣.

١٦٥ - الكُمَّل من المؤمنين والأنانية

قد يوجد في الكمَّل من المؤمنين شيء من العيوب كالأنانية، فإن قوله: ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٤] يدل على أنانيتهم، وأنهم ليس لهم همٌّ إلا أنفسهم، والذي يليق بالمؤمن أن يكون همّه في مثل هذه المواطن نصرة الإسلام وعزة الإسلام، وأن يبيع نفسه لله(١).

١٦٦ - الحث على التقوى

في قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١١٥] بيان أن الله يجازي المتقين على تقواهم، والتقوى لها فوائد كثيرة،منها تخصيص العلم بالمتقين من أجل الحث على التقوى، والحذر من مخالفتها، وعدم القيام بها، وإلا فإن الله عليم بكل شيء(٢).

١٦٧ - الإنسان وقيام الحجة عليه

الإنسان لا يؤاخذ بالمخالفة إلا بعد قيام الحجة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٤٥]؛ فالإنسان قد يتابع غيره جهلًا؛ فلا يؤاخذ به، وإن كان يسمى ضالًّا؛ لكنه ليس بظالم؛ لأنه لم يتعمد المخالفة؛ فلا يتحقق الظلم إلا لمن عرف الحق وخالفه(٣).

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١٥٤، ٢/ ٣٣٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١١٥، ٢/ ٨١.
(٣) سورة البقرة، الآية رقم ١٤٥، ٢/ ١٣٨، ١٣٩.

١٦٨ - كفر الساحر

إن كفر الساحر كفر مخرج عن الملة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ﴾ [البقرة:١٠٢]، يعني: من نصيب، وليس هناك أحد ليس له نصيب في الآخرة إلا الكفار، فالمؤمن مهما عذب فإن له نصيبًا من الآخرة(١).

١٦٩ - الله عَزَّوَجَلَّ لا يظلم الناس شيئًا

إن الله عَزَّوَجَلَّ لا يظلم الناس شيئًا، وإنما يؤاخذهم بالذنوب، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ﴾ [آل عمران:١١]، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠](٢).

١٧٠ - الحياة الحقيقية

قال تعالى: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [آل عمران:١٤]،الحياة الدنيا بخلاف الحياة الأخرى، وهي الحياة الحقيقية، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ﴾ [العنكبوت:٦٤]، أما الدنيا فهي حياة بسيطة ليست بشيء، قال النبي ﷺ: «**لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها**»(٣).

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ١٠٢، ١/ ٣٣٣، ٣٣٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١١، ١/ ٧٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية رقم ١٤، ١/ ٩٠.

١٧١ - الله عَزَّوَجَلَّ أرحم بنا من أنفسنا وأهلينا

إن الله أرحم بالإنسان من والديه؛ لقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ [النساء:١١]، فالذي يوصيك بالشيء هو أرحم به منك، وأشد عناية به منك؛ ولهذا إذا أوصى الإنسان أحدًا على أولاده فهو أرحم بأولاده من هذا الوصي[١].

١٧٢ - من صفات المتقين

من صفات المتقين سرعة انتباه هؤلاء عند فعل الذنوب؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران:١٣٥]، فيبادرون بالتوبة، والمبادرة بالتوبة من صفات المتقين وهل هي واجبة؟ الجواب: نعم، تجب المبادرة بالتوبة؛ لأن التوبة إذا نزل الأجل لا تقبل، والإنسان لا يدري متى ينزل أجله، وعلى هذا فيجب أن يتوب الإنسان من ذنوبه فورًا بدون تأخير[٢].

١٧٣ - الهداية بقدر التقوى

كلما ازداد الإنسان تقوى ازداد هدى وموعظة؛ لقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٨]؛ لأن الحكم المعلق بوصف يقوى بقوته، ويضعف بضعفه، فإذا كان الهدى والموعظة معلقة بالتقوى فإنه لا بد أن يزداد ويقوى بالتقوى، ويضعف وينقص بعدم التقوى[٣].

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ١١، ١/ ٨٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٣٥، ٢/ ١٨٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية رقم ١٣٨، ٢/ ٢٠٩.

١٧٤ - أدب الخلاف بين طلبة العلم

في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٢] الحث على اجتماع الكلمة، وجهه أن النزاع سبب للخذلان، فيكون الاتفاق سببًا للنصر وهو كذلك، فاجتماع الناس على كلمة واحدة لا شك أنه سبب للنصر؛ ولهذا ينبغي لطلبة العلم وللعلماء ألا يظهر خلافهم ونزاعهم أمام العامة، واختلاف الآراء لا بد أن يكون، لكن كون كل واحد منهم يعيب على الآخر إن خالفه، هذا خطر عظيم جدًّا؛ لأن العامة ترى هذا النزاع فلا تثق بواحد منهم، على أن العامة أيضا سوف يتفرقون، فالنزاع لا شك أنه سبب للخذلان والفشل وتمزق الأمة[1].

١٧٥ - المعترض على حكم الله عَزَّوَجَلَّ

إن ديدن الكافرين الاعتراض على حكم الله، وعلى حكمة الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [البقرة:٢٦]؛ وكل من اعترض ولو على جزء من الشريعة ففيه شبه بالكفار؛ فمثلًا لو قال قائل: لماذا ينتقض الوضوء بأكل لحم الإبل، ولا ينتقض بأكل لحم الخنزير إذا جاز أكله للضرورة مع أن الخنزير خبيث نجس؟

فالجواب: أن هذا اعتراض على حكم الله عَزَّوَجَلَّ؛ وهو دليل على نقص الإيمان؛ لأن لازم الإيمان التام التسليم التام لحكم الله عَزَّوَجَلَّ إلا أن يقول ذلك على سبيل الاسترشاد، والاطلاع على الحكمة؛ فهذا لا بأس به[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١٥٢، ٢/ ٣١٣، ٣١٤.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٢٦، ١/ ١٠٠.

١٧٦ - الخضوع لله عَزَّ وَجَلَّ عند النصر

يجب على من نصره الله، وفتح له البلاد أن يدخلها على وجه الخضوع، والشكر لله؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [البقرة:٥٨]؛ ولهذا لما فتح النبي ﷺ مكة دخلها مطأطئًا رأسه يقرأ قول الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:١] [(١)].

١٧٧ - كتم الشهادة

كتْم الشهادة من الكبائر؛ لوجود العقوبة الخاصة بها وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ﴾ [البقرة:٢٨٣] [(٢)].

١٧٨ - المباهلة

يجوز المباهلة؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران:٦١]، لكن اشترط العلماء لجواز المباهلة شرطين: الشرط الأول: العلم، والثاني: أن تكون في أمر هام، أما الأمور التي ليست بهامة فلا ينبغي للإنسان أن يعرض نفسه للخطر [(٣)].

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٥٨، ١/ ٢٠٣.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٢٨٣، ٣/ ٤٣١.
(٣) سورة آل عمران، الآية رقم ٦١، ١/ ٣٥٩.

١٧٩ - الدعاء بالأعمال الصالحة

يجوز التوسل في الدعاء بالأعمال الصالحة؛ لقولهم: ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [آل عمران:١٩٣] عطفًا على قولهم: ﴿أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ﴾ [آل عمران:١٩٣]، والتوسل بالأعمال الصالحة مما ثبت بالسنة أيضًا.

ففي قصة الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار بصخرة عظيمة لم يستطيعوا زحزحتها فقال بعضهم لبعض: إنه لا ينجيكم من ذلك إلا أن تتوسلوا إلى الله بصالح أعمالكم؛ فتوسل كل منهم بصالح عمله، فلما دعا الأول وتوسل بصالح عمله انفرجت الصخرة قليلًا، ثم الثاني قليلًا لكن لا يستطيعون الخروج، ثم الثالث انفرجت كلها، فخرجوا يمشون[١].

١٨٠ - فَضْلُ الله عَزَّوَجَلَّ على الناس أجمعين

إن الله عَزَّوَجَلَّ منعم على الإنسان كافرًا كان أو مؤمنًا؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]، وهو يخاطب في الأول الناس عمومًا، لكن فضل الله على المؤمن دائم متصل بفضل الآخرة، وفضل الله على الكافر منقطع بانقطاعه من الدنيا[٢].

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١٩٣، ٢/ ٥٥٨.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٢٢، ١/ ٧٩.

١٨١ - الوفاء بالنذر

في قول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة:٤٠] وجوب الوفاء بالنذر؛ لأن الناذر معاهد لله، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [التوبة:٧٥](١).

١٨٢ - الاغترار بالأماني

من اغتر بالأماني، وطمع في المنازل العالية بدون عمل لها ففيه شَبه من اليهود والنصارى؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ﴾ [البقرة:١١١](٢).

١٨٣ - النار محفوفة بالشهوات

قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ﴾ [آل عمران:١٨٥]، ﴿زُحْزِحَ﴾ أي دُفع ببطء، وذلك لأن النار ـ أعاذنا الله وإياكم منها ـ محفوفةٌ بالشهوات، والشهوات تميلُ إليها النفوس، فلا يكاد الإنسان ينصرف عن هذه الشهوات إلا بزحزحة؛ لأنه يُقبل عليها بقوَّة، لهذا قال: ﴿زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ أي دُفع عنها بمشقَّةٍ وشدَّة (٣).

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٤٠، ١/ ١٤٥.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم ١١١، ١/ ٣٦٨.
(٣) سورة آل عمران، الآية رقم ١٨٥، ٢/ ٥١٢.

١٨٤ - الصُّحبة بين الرجال والنساء

يحرم اتخاذ الأخدان من الرجال؛ لقوله: ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء:٢٥]، وحتى لو لم يحصل الزنا، فإن اتخاذ الأخدان ـ يعني: الأصحاب والأصدقاء ـ سبب للزنا؛ ولهذا نهي عن الخلوة بالمرأة خوفًا من ذلك، ونهي أن تخضع بالقول خوفًا من ذلك(١).

١٨٥ - رحمة الله عَزَّوَجَلَّ سبقت غضبه

إن رحمة الله تعالى سبقت غضبه؛ لأن الحسنات تضاعف والسيئات لا تزاد، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء:٤٠]، هذا نفي زيادة السيئات، والتضعيف في الحسنات: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء:٤٠](٢).

١٨٦ - الاستغفار لمن أفتى

ينبغي لمن استفتي أن يقدم بين يدي فتواه الاستغفار؛ لأن الله قال: ﴿لِتَحْكُمَ﴾ [النساء:١٠٥]، ثم قال: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٠٦]؛ ولأن الذنوب تحول بين الإنسان وبين معرفة الصواب(٣).

١٨٧ - التلاوة تلاوتان

تلاوة القرآن نوعان: تلاوة حق، وتلاوة ناقصة ليست تامة؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة:١٢١]، فالتلاوة الحق

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ٢٥، ١/ ٢٣٣.

(٢) سورة النساء، الآية رقم ٤٠، ١/ ٣٣٣، ٣٣٤.

(٣) سورة النساء، الآية رقم ١٠٥، ٢/ ١٨١.

أن يكون الإنسان تاليًا للفظه ولمعناه، عاملًا بأحكامه، مصدقًا بأخباره، فمن استكبر أو جحد فإنه لم يتله حق تلاوته[١].

١٨٨ - القرض الحسن

قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٤٥].

القرض الحسن هو ما وافق الشرع بأن يكون:

أولًا: خالصًا لله، فإن كان رياءً وسمعة، فليس قرضًا حسنًا؛ لقوله تعالى في الحديث القدسي: «**من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**».

ثانيًا: من مال حلال، فإن كان من مال حرام فليس بقرض حسن؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا.

ثالثًا: نفسه طيبة به، لا متكرهًا، ولا معتقدًا أنه غُرم وضريبة، كما يظن الناس أن الزكاة ضريبة ـ حتى إن بعض الكُتَّاب يعبرون بقولهم: ضريبة الزكاة، والعياذ بالله.

رابعًا: أن يكون في محله، بأن يتصدق على فقير، أو مسكين، أو في مصالح عامة، أما لو أنفقها فيما يغضب الله فإن ذلك ليس قرضًا حسنًا.

خامسًا: ألا يتبع ما أنفق منًّا ولا أذى، فإن أتبعه بذلك بطل ثوابه؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٤][٢].

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ١٢١، ٢/ ٣٧.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٢٤٥، ٣/ ٢٠٣.

١٨٩ - القلب مدار العمل

في قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:٨] سُلط الفعل على القلب؛ لأن القلب عليه مدار العمل، لقول النبي ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»(١).

١٩٠ - الفساد في الأرض

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة:٢٠٥]فيه تصريح بأن الله لا يحب الفساد، وإذا كان لا يحب هذا الفعل فإنه لا يحب من اتصف به؛ ولهذا جاء في آية أخرى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة:٦٤]؛ فالله لا يحب الفساد، ولا يحب المفسدين؛ فالفساد نفسه مكروه إلى الله؛ والمفسدون أيضا مكروهون إليه لا يحبهم(٢).

١٩١ - إصابة الحق

كلما قوي إيمان العبد كان أقرب إلى إصابة الحق، لقوله تعالى: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢١٣]؛ لأن الله علق الهداية على وصف الإيمان، وما علق على وصف فإنه يقوى بقوته، ويضعف بضعفه؛ ولهذا كان الصحابة أقرب إلى الحق ممن بعدهم لا في التفسير، ولا في أحكام أفعال المكلفين، ولكن في العقائد أيضًا؛ لأن الهداية للحق علقت بالإيمان، ولاشك

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ٨، ١/ ٥٠، ٥١.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٢٠٥، ٢/ ٤٤٦.

أن الصحابة أقوى الناس إيمانًا؛ قال الرسول ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، ولهذا ذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن قول الصحابي حجة ما لم يخالف النص، فإن خالف نصًا فليس بحجة، أو يخالفه صحابي آخر، فإن خالفه صحابي آخر نظر في الترجيح أيهما أقرب إلى الصواب[1].

١٩٢ - الرجاء بقبول العمل

لا ينبغي للإنسان أن يكون جازمًا بقبول عمله، بل يكون راجيًا، ولكنه يرجو رجاءً يصل به إلى حسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ ﴾ [البقرة:٢١٨][2].

١٩٣ - المؤمن والعقل

إن المؤمن لا يمكن أن يعارض ما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ بعقله؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۖ ﴾ [البقرة:٢٦]، ولا يعترضون، ولا يقولون: لِمَ؟ ولا: كيف؟ يقولون: سمعنا، وأطعنا؛ لأنهم يؤمنون بأن الله عَزَّوَجَلَّ له الحكمة البالغة فيما شرع، وفيما قدر[3].

١٩٤ - الإيمان واليقين

يزداد العلم باليقين؛ لأن من آيات الله هذا الوحي الذي جاء به الرسول ﷺ، فكلما ازداد يقينك تبين لك من آيات الله ما لم يتبين لغيرك؛ لقوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة:١١٨]، فباليقين يزداد العلم، قال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٢١٣، ٣/ ٣٥.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٢١٨، ٣/ ٦٥.
(٣) سورة البقرة، الآية رقم ٢٦، ١/ ٩٩.

ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ [المدثر:٣١]، فكلما كان الإنسان أقوى يقينًا كان أكثر علمًا، وكلما ازداد علمه ازداد يقينه، فهما متلازمان[(١)].

{١٩٥ - علامة نقص الإيمان}

من خالف القرآن في شيء كان ذلك دليلًا على نقص إيمانه؛ لقوله تعالى: ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ﴾ [البقرة:١٢١]، فمعنى ذلك: إذا لم يتلوه حق تلاوته فإنهم لم يؤمنوا به، بل نقص من إيمانهم بقدر ما نقص من تلاوتهم له[(٢)].

{١٩٦ - أهمية قبول الأعمال}

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ﴾ [البقرة:١٢٧]، فيه بيان أهمية القبول للعمل، وأن المدار في الحقيقة عليه، وليس على العمل، فكم من إنسان عمل أعمالًا كثيرة، وليس له من عمله إلا التعب، فلم تنفعه، وكم من إنسان عمل أعمالًا قليلة قبلت فنفعه الله بها؛ ولهذا جاء في الحديث: «**رب صائم حظه من صيامه الجوع، والظمأ، ورب قائم حظه من قيامه السهر**»[(٣)].

{١٩٧ - مَنْ كتم علمًا فقد كتم شهادة عنده من الله عَزَّوَجَلَّ}

يعظم كتم العلم؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة:١٤٠]، فإن العالم بشريعة الله عنده شهادة من الله بهذه الشريعة، كما قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران:١٨]، فكل إنسان

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ١١٨، ٢/ ٢٦.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم ١٢١، ٢/ ٣٦.
(٣) سورة البقرة، الآية رقم ١٢٧، ٢/ ٥٩.

يكتم علمًا فقد كتم شهادة عنده من الله، ثم إن في هذا عظيم الإثم؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾[1].

١٩٨ - العلم الحقيقي

العلم الحقيقي هو علم الشريعة؛ لقوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة:١٤٥] أتى بـ«ال» المفيدة للكمال؛ ولا شك أن العلم الكامل الذي هو محل الحمد والثناء هو العلم بالشريعة؛ ولذلك نقول: إن عصر النبوة هو عصر العلم؛ وليس عصرنا الآن، هو عصر العلم الذي يمدح على الإطلاق؛ لكن ما كان منه نافعًا في الدين فإنه يمدح عليه لهذا[2].

١٩٩ - الله عَزَّوَجَلَّ شاكر وشكور

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨]، أي: فالله يشكر، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شاكر، وشكور، وشكره تعالى أنه يثيب العامل أكثر من عمله، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

وقرن العلم بالشكر لاطمئنان العبد إلى أن عمله لن يضيع فإنه معلوم عند الله[3].

٢٠٠ - من صور رحمة الله عَزَّوَجَلَّ بعباده

الله عَزَّوَجَلَّ لا يكلف نفسًا ما لا تطيق؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٣٣]، أي طاقتها، ويتفرع على هذه الفائدة: بيان رحمة الله عَزَّوَجَلَّ بعباده، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يكلفهم إلا ما يطيقون[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ١٤٠، ٢/ ١٠٣.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم ١٤٥، ٢/ ١٣٩.
(٣) سورة البقرة، الآية رقم ١٥٨، ٢/ ١٨٥.
(٤) سورة البقرة، الآية رقم ٢٣٣، ٣/ ١٥٠.

٢٠١- من صور كرم الله عَزَّوَجَلَّ

فضل الله وعطاؤه واسع، وإن جزاءه للمحسن جزاء فضل؛ لقوله تعالى: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾ [البقرة:٢٤٥]، مع أن أصل توفيقه للعمل الصالح فضل منه؛ لقول النبي ﷺ لفقراء الأنصار حين ذكروا له فضل الأغنياء عليهم في الصدقات، والعتق: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»؛ وعلى هذا فيكون الله تعالى في توفيق العبد للعمل الصالح فضلان: فضل سابق على العمل الصالح؛ وفضل لاحق ـ وهو الثواب عليه أضعافا مضاعفة ـ؛ وأما جزاؤه للعصاة فهو دائر بين العدل والفضل؛ إن كانت المعصية كفرًا فجزاؤها عدل؛ وإن كانت دون ذلك فجزاؤها دائر بين الفضل، والعدل؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨] [١].

٢٠٢- فضيلة العقل

في قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البقرة:٢٦٩] فضيلة العقل؛ لأن التذكر بلا شك يحمد عليه الإنسان؛ فإذا كان لا يقع إلا من صاحب العقل دل ذلك على فضيلة العقل؛ والعقل ليس هو الذكاء؛ لأن العقل نتيجته حسن التصرف - وإن لم يكن الإنسان ذكيًّا؛ والذكاء؛ قوة الفطنة - وإن لم يكن الإنسان عاقلا؛ ولهذا نقول: ليس كل ذكي عاقلا، ولا كل عاقل ذكي؛ لكن قد يجتمعان؛ وقد يرتفعان؛ وهناك عقل يسمى عقل إدراك؛ وهو الذي يتعلق به التكليف، وهذا لا يلحقه مدح، ولا ذم؛ لأنه ليس من كسب الإنسان[٢].

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٢٤٥، ٣/ ٢٠٣.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٢٦٩، ٣/ ٣٥٣.

٢٠٣- خشية الله عَزَّوَجَلَّ

قال الله تعالى: ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة:٧٤]، الخشية هي الخوف المقرون بالعلم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨] فمن علم عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلابد أن يخشاه [١].

٢٠٤- شريعة الله عَزَّوَجَلَّ

قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة:٦٣]، الواجب على أهل الملة أن يأخذوا كتابهم بقوة لا بضعف، ولا لين، ومداهنة، بل لابد من قوة في التطبيق والدعوة، التطبيق على أنفسهم، ودعوة غيرهم إلى ذلك بدون فتور، ولا تراخٍ على حد قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]؛ لأنه لا يتم الأمر إلا بهذا[٢].

٢٠٥- الله يختص برحمته من يشاء

إن خير الله لا يجلبه ودّ وادّ، ولا يرده كراهة كاره؛ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة:١٠٥]؛ فلا يمكن لهؤلاء اليهود والنصارى والمشركين أن يمنعوا فضل الله علينا؛ وعلى هذا جاء الحديث الصحيح: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك؛ ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»[٣].

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٧٤، ١/ ٢٤٨.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٦٣، ١/ ٢٢٧.

(٣) سورة البقرة، الآية رقم ١٠٥، ١/ ٣٤٢، ٣٤٣.

٢٠٦ - علاقة الشكر برضى الله عَزَّوَجَلَّ

إنَّ الشاكر يَنالُ رضا ربه؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧]، وقد جاء في الحديث: «**إنَّ الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها**»[١].

٢٠٧ - اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا!

ينبغي للإنسان أن يلجأ إلى الله عَزَّوَجَلَّ أن يمتعه بسمعه، وبصره؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [البقرة:٢٠]، وفي الدعاء المأثور: «**متعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقوتنا ما أحييتنا**»[٢].

٢٠٨ - من حكم المصائب

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٠٤]، الإنسان إذا تأمل المخلوقات بعناية وعقل وفهم وتبين له أنه لا يوجد فيها شيء إلا لحكمة، حتى المصائب من الأمراض والهلاك والفتن كلها لها حكمة، لكن تحتاج إلى تدبر وتعمق، وليس نظرًا إلى الأمور على وجه سطحي، وتجد أن الله عَزَّوَجَلَّ قدر هذا الشيء لحكم عظيمة، ولا أدل على هذا من قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:٤١]، وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام:٤٢]، والأدلة على هذا كثيرة، مع أنها مصائب لكن لها حكم؛

---

(١) سورة الزمر، الآية رقم ٧، ص٧٦، ٧٧.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٢٠، ١/ ٧١.

وكم من إنسان نشاهده في وقتنا الحاضر تحصل عليه مصيبة إما في نفسه وإما في أهله، ويكون فاسقًا ثم يعود، وأنا أعرف بعض من كان فاسقًا ثم حصل حادث مات فيه أخوه أو أبوه فاهتدى، وأمثال هذا كثير [١].

٢٠٩- التنزُّل مع الخصم

يجب التنزُّل مع الخصم لإلزامه بالحق، كيف ذلك؟ لأنه قال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران:٦٤]، والحق بلا شك مع الرسول ﷺ، لكن من أجل إلزام الخصم وإقامة الحجة عليه تنزَّل معه [٢].

٢١٠- كلُّ شيء مسخر للإنسان

منَّة الله تعالى على عباده عظيمة فقد خلق لهم ما في الأرض جميعًا؛ لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩]، فكل شيء في الأرض فإنه لنا ـ والحمد لله ـ والعجب أن من الناس من سخر نفسه لما سخره الله له؛ فخدم الدنيا، ولم تخدمه؛ وصار أكبر همه الدنيا: جمع المال، وتحصيل الجاه، وما أشبه ذلك[٣].

٢١١- تعظيم الملائكة لله عَزَّوَجَلَّ

تعظيم الملائكة لله عَزَّوَجَلَّ كبير، حيث اعترفوا بكماله، وتنزيهه عن الجهل بقولهم: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة:٣٢]، واعترفوا لأنفسهم بأنهم لا علم عندهم، واعترفوا لله بالفضل في قولهم: ﴿إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة:٣٢][٤].

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ١٠٤، ٢/ ١٦٣، ١٦٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ٦٤، ١/ ٣٧٠.
(٣) سورة البقرة، الآية رقم ٢٩، ١/ ١١٠.
(٤) سورة البقرة، الآية رقم ٣٢، ١/ ١٢١.

٢١٢- من وسائل الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ

تذكير العبد بنعمة الله عَزَّوَجَلَّ عليه أدعى لقبوله الحق، وأقوم للحجة عليه؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة:٤٠]، فهل هذا من وسائل الدعوة إلى الله، بمعنى أننا إذا أردنا أن ندعو شخصًا نذكره بالنعم؟

فالجواب: نعم، نذكره بالنعم؛ لأن هذا أدعى لقبول الحق، وأدعى لكونه يحب الله عَزَّوَجَلَّ، ومحبة الله تحمل العبد على أن يقوم بطاعته [١].

٢١٣- الطلاق بيد الزوج

في قول الله تعالى: ﴿وَإِنۡ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ﴾ [البقرة:٢٢٧] بيان أن الطلاق بيد الزوج، والضمير يعود على ﴿لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ﴾ [البقرة:٢٢٦] [٢].

٢١٤- سبب للمغفرة

إن رجوع الإنسان عما هو عليه من المعصية سبب للمغفرة؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة:٢٢٦] [٣].

٢١٥- من نعم الله عَزَّوَجَلَّ على العبد توفيقه لتذكر الآخرة

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص:٤٦]، مَنْ أنعم الله عليه بهذه الصفة وهي تذكُّر الدار الآخرة فإن هذا من الأمر الذي يستحق الثناء عليه هو، ويستحق الرب عَزَّوَجَلَّ عليه الشكر، حيث لم يجعل هذا ممن ينطوي في سلك أهل الدنيا [٤].

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٤٠، ١/ ١٤٤.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٢٢٧، ٣/ ٩٧.

(٣) سورة البقرة، الآية رقم ٢٢٧، ٣/ ٩٧.

(٤) سورة ص، الآية رقم ٤٦، ص٢٠٢.

٢١٦ - اتباع النبي عليه الصلاة والسلام سبب لمحبة الله تعالى

اتباع النبي ﷺ سبب لمحبة الله للعبد؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١](١).

٢١٧ - من فضائل الصبر

للصبر فضيلة عظيمة، وإن به العون على مكابدة الأمور؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٥](٢).

٢١٨ - الرخاء والرزق ورضا الله عز وجل

ما يعطيه الله العبد من الرخاء وسعة الرزق والانطلاق في الأرض يمينًا وشمالًا ليس دليلًا على رضاه عن العبد؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [آل عمران:١٩٦]، وإنما المقياس لرضا الله عن العبد هو اتباع العبد لشرع الله (٣).

٢١٩ - العدل بين الزوجات

يجب العدل بين الزوجات؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء:٣]، والجور بين الزوجات من كبائر الذنوب؛ لقول النبي ﷺ: «**من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وشقه مائل**» (٤).

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ٣١، ١/ ١٩٤.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٤٥، ١/ ١٦١.
(٣) سورة آل عمران، الآية رقم ١٩٦، ٢/ ٥٨٤.
(٤) سورة النساء، الآية رقم ٣، ١/ ٣٣.

٢٢٠- من آداب الإسلام العالية

إن كل ما جاء به الإسلام هو من الآداب العالية، والأخلاق الفاضلة، حيث أمرنا بأن نعطي هؤلاء الذين حضروا القسمة للميراث؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُوا ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء:٨]؛ لأن قلوبهم تتعلق بالمال، وتتشوف للنوال؛ فلهذا أمر الشرع بإعطائهم[١].

٢٢١- أخذ الزوج من مهر زوجته

يحرم أخذ الزوج شيئًا من المهر ولو قليلًا؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٢٠]، وكلمة «شيئًا» نكرة في سياق النهي، فتعم القليل والكثير، ولكن لو رضيت الزوجة بأن يأخذ من مهرها شيئًا فالحق لها، إذا كانت مكلفة رشيدة؛ لقوله تعالى: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة:٢٣٧][٢].

٢٢٢- اعتن بعبادتك

يجب العناية بالعبادة؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة:٢١]، **يستفاد هذا من وجهين:**

الوجه الأول: تصدير الأمر بها بالنداء.

والوجه الثاني: تعميم النداء لجميع الناس مما يدل على أن العبادة أهم شيء، بل إن الناس ما خلقوا إلا للعبادة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦][٣].

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ٨، ١/ ٥٥.
(٢) سورة النساء، الآية رقم ٢٠، ١/ ١٦٣.
(٣) سورة البقرة، الآية رقم ٢١، ١/ ٧٣.

٢٢٣- القلب محل العقل والتدبير

إن محل الإرادة والتدبير للبدن هو القلب؛ لقوله تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ [آل عمران:١٥١]، وليس المحل هو الدماغ خلافًا للمشهور عند فلاسفة اليوم، فإن الدماغ في الحقيقة لا يدبر، بل يتصور، ثم يرسل الصورة إلى القلب، والقلب يحكم، الدماغ بمنزلة ما نسميه «بالسكرتير» يجهز الأوراق ويرتبها، ثم يرسلها إلى الملك، ويقول له: ماذا تأمر؟ والدليل على هذا قوله تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦]، نصٌّ واضح أن العقل يكون في القلب، وأن محل هذا القلب هو الصدر، وبهذا نرد على من قالوا: إن المراد بقوله: ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ القلوب المعنوية هي الدماغ، والله يقول: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ وهذا نص صريح، ثم إن السنة أيدت هذا فقال النبي ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»، فالتدبير للقلب، والتصور للدماغ[1].

٢٢٤- المعصية بعد النعمة

المعصية بعد النعمة أشد من المعصية قبل النعمة؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:١٥٢]، وإلا لكان يقول: ﴿وَعَصَيْتُم﴾ فقط، لكن كون المعصية تقع بعد أن أراهم الله ما يحبون هذه أعظم، أعظم مما إذا لم يكن الله أراهم ما يحبون[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١٥١، ٢/ ٢٩٨، ٢٩٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٥٢، ٢/ ٣١٣.

٢٢٥- الصحابة مَعفوٌّ عنهم

إن ما حصل من المؤمنين من الصحابة من التنازع والفشل والمعصية وإرادة الدنيا كله محاه الله عَزَّوَجَلَّ، يؤخذ من قوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ [آل عمران:١٥٢]، إذن لا أثر له(١).

٢٢٦- التقوى لا ينالها كل أحد

التقوى مرتبة عالية لا ينالها كل أحد إلا من أخلص العبادة لله عَزَّوَجَلَّ؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة:٢١](٢).

٢٢٧- مخالفة العالم والجاهل

العالم إذا خالف فهو أسوأ حالًا من الجاهل؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة:٤٤]، وهذا أمر فُطر الناس عليه أن العالم إذا خالف صار أشد لومًا من الجاهل، حتى العامة تجدهم إذا فعل العالم منكرًا قالوا: كيف تفعل هذا وأنت رجل عالم؟ أو إذا ترك واجبًا قالوا: كيف تترك هذا وأنت عالم؟(٣).

٢٢٨- إحاطة الله عَزَّوَجَلَّ بنا

إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ محيط بأعمالنا؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٩٦]، والبصر هنا بمعنى العلم، ويمكن أن يكون بمعنى الرؤية، قال النبي

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١٥٢، ٢/ ٣١٦.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٢١، ١/ ٧٤.

(٣) سورة البقرة، الآية رقم ٤٤، ١/ ١٦٠.

ﷺ: «لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»، فأثبت لله بصرًا لكن تفسيره بالعلم أعم[1].

٢٢٩ - القول فيما جرى بين الصحابة

في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة:١٣٤] إشارة إلى أنه ينبغي لنا أن نسكت عما جرى بين الصحابة؛ لأنا نقول كما قال الله لهؤلاء: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾، فنحن معنيون الآن بأنفسنا، ويذكر عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه سئل عما جرى بين الصحابة، فقال لهم: هذه دماء طهر الله سيوفنا منها؛ فنحن نطهر ألسنتنا منها؛ هذه كلمة عظيمة؛ فعلى هذا النزاع فيما جرى بين معاوية، وعلي بن أبي طالب، وعائشة، وما أشبه ذلك لا محل له؛ لكن الذي يجب أن نعتني به حاضر الأمة؛ هذا الذي يجب أن يبين فيه الحق، ويبطل فيه الباطل، ونقول: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠][2].

٢٣٠ - الفتوى بلا علم

تحرم الفتوى بلا علم؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٦٩]، فإن المفتي يقول على الله، ويعبر عن شرع الله، وقد جاء ذلك صريحًا في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣][3].

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٩٦، ١/ ٣١٢، ٣١٣.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم ١٣٤، ٢/ ٨١، ٨٢.
(٣) سورة البقرة، الآية رقم ١٦٩، ٢/ ٢٤١.

٢٣١ - من حلف ورأى غيرها خيرًا منها

في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:٢٢٤] نهي الإنسان عن جعل اليمين مانعة له من فعل البر والتقوى والإصلاح بين الناس، والنهي للتحريم إذا كانت مانعة له من واجب، وقد صحَّ عن النبي ﷺ قوله: «**إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرًا منها فكفر عن يمينك، وائت الذي هو خير**»(١).

٢٣٢ - أكثر العُبَّاد من الرجال

العُبَّاد من الرجال أكثر من العُبَّاد من النساء؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران:٤٣]، ولم يقل: مع الراكعات إشارة إلى أن الكمال في الرجال، وكثرة العمل في الرجال أظهر منها في النساء؛ ولهذا كانت النساء أكثر أهل النار كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ(٢).

٢٣٣ - مغفرة الله عَزَّوَجَلَّ

في قوله تعالى: ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٧]، إضافة المغفرة إلى الله تدل على عظمة هذه المغفرة؛ وذلك لأن الشيء يعظم بعظم باذله، فمثلا: إذا قلت: أعطاني الملك عطية، وقلت: أعطاني الصعلوك عطية، والصعلوك هو الفقير، إذا قلت: أعطاني الملك عطية يتصور الناس أنها كثيرة، وإذا قلت: أعطاني الصعلوك عطية يتصورون أنها قليلة، فالشيء يعظم بحسب ما يضاف إليه؛ فلهذا قال: ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي ابتداؤها منه فهو الذي يبتدئها عَزَّوَجَلَّ ويتفضل بها(٣).

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٢٢٤، ٣/ ٩١.
(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ٤٣، ١/ ٢٦١.
(٣) سورة آل عمران، الآية رقم ١٥٧، ٢/ ٣٥٩.

٢٣٤- إعاذة الأبناء بالله عَزَّوَجَلَّ

يشرع إعاذة الإنسان أبناءه بالله عَزَّوَجَلَّ من الشيطان الرجيم ومن شر الخلق؛ لقول مريم: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦][١].

٢٣٥- شرُّ الناس منزلة يوم القيامة عند الله عَزَّوَجَلَّ

في قول الله تعالى: ﴿وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ﴾ [النساء:٢١] الإشارة إلى ستر ما بين الزوجين، وهذا الإفضاء أنه إفضاء سري؛ ولهذا فإن الذي يفشي السر فيما كان بينه وبين زوجته من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة[٢].

٢٣٦- الميسر قليله وكثيره حرام

يحرم الميسر قليله وكثيره لعموم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة:٩٠]، حتى لو كانت المغالبة بقرش واحد، ولو يسيرة؛ لأننا نقول: قليل الميسر الذي يجحف بمال الإنسان، ولا يهتم به كقليل الخمر الذي إذا كان قليلًا لم يسكر وإذا كان كثيرة أسكر، ولا شك أن المغالبة إذا كانت في شيء يسير تجر إلى المغالبة في شيء كثير، ويستثنى من ذلك ما مصلحته أعلى من مفسدته، وذلك في ثلاثة أشياء بَيَّنَها النبي ﷺ فقال: «**لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر**»، السَّبَق بفتح الباء هو:

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ٣٦، ١/ ٢٣٠.
(٢) سورة النساء، الآية رقم ٢١، ١/ ١٦٤.

العوض المأخوذ على السبق، والنصل: السهام، والخف: البعير، والحافر: الفرس.

قال أهل العلم: إنما استثنى النبي ﷺ ذلك؛ لأن بها يقوم الجهاد في سبيل الله الذي به إعلاء كلمة الله، وهذه مصلحة عظيمة، فالناس إذا علموا أنهم إذا تسابقوا في هذه الأشياء رُخص لهم في أخذ العوض عليها وسَيُحَصِّلون عليها شيئًا فسوف يكثرون المسابقة(١).

٢٣٧ - أبلغ المواعظ

في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:٥١] وجوب الإنذار بالقرآن، ويتفرع على هذا أن خير ما ينذر به هو القرآن، يعني هو أبلغ المواعظ في الإنذار، لكن كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧](٢).

٢٣٨ - أفضل حالات الصلاة

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٤]، لم يذكر الله الركوع، ولم يذكر القعود؛ لأن القيام أشرف ما في الصلاة من حيث ذكره، أي: من حيث الذكر الذي هو القرآن، والسجود أشرف ما في الصلاة من حيث الحال والهيئة، قال ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**»، فذكر القيام لشرفه بذكره، أي: بما يقال فيه، وذكر السجود لشرفه بهيئته، فدل ذلك على أن هذا أفضل حالات الصلاة، وهو كذلك(٣).

---

(١) سورة المائدة، الآية رقم ٩٠، ٢/ ٣٣٥، ٣٣٦.
(٢) سورة الأنعام، الآية رقم ٥١، ص٢٦٢.
(٣) سورة الفرقان، الآية رقم ٦٤، ص٢٧٤، ٢٧٥.

٢٣٩- الأنفس التي حرم الله عَزَّوَجَلَّ قتلها

في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان:٦٨]، بيان الأنفس التي حرم الله تعالى قتلها، وهي أربعة أنفس: المسلم، والذمي، والمعاهد، والمستأمن، هذه هي الأنفس التي حرم الله، فهذه الأربعة أنفس محرمة، ثم إن المسلم أيضًا قد يُبيح الله قتله مع إسلامه، كالزاني المحصن، والقاتل عمدًا، فإن قتله مباح، مع أنه مسلم، لكننا نقول: إن قتل المسلم بهذه الأسباب طارئ، وإلا فوصف الإسلام محرم لقتله (١).

٢٤٠- معنى الزكاة

في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [لقمان:٤]، سُمي هذا المال المؤدى زكاةً؛ لأنها تزكو بها أخلاق المزكي، ويزكو بها المال أيضًا ويزيد؛ لأن الزكاة في اللغة النماء والزيادة(٢).

٢٤١- تسلية للدعاة

في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [العنكبوت:٣٧]، تسلية الدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ إذا عُورضوا في دعوتهم، وجه ذلك: أن الرسل كذبوا فهم من باب أولى؛ ولهذا يسلي الله النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ بمثل هذا، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران:١٨٤]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا

---

(١) سورة الفرقان، الآية رقم ٦٨، ص٢٨٤.
(٢) سورة لقمان، الآية رقم ٤، ص١٩.

﴿كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ﴾ [الأنعام:٣٤]، فالداعي إلى الله لا ينبغي أن يأنف من أن يكذب، فإن هذا هو طريق الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وأتباعهم سيكونون مثلهم[1].

٢٤٢ - الإيمان والكمال في الرجال أكثر من النساء

في قوله تعالى: ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [القصص:١٠]، دليل على أن الإيمان والكمال في الرجال أكثر؛ لأنه لم يقل: لتكون من المؤمنات، ويدل على ذلك أيضًا في قوله تعالى في مريم: ﴿وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم:١٢]؛ ولهذا جاء في الحديث: «**كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران**».

ولا ريب أن الإيمان في الرجال أكثر وأثبت وأزيد، ففي الحديث عن النبي ﷺ: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**».

وإنما قررنا هذا من أجل أنه يجب على الرجل مراعاة المرأة، وأنها محتاجة إلى الرعاية، وكذلك يجب ألا تُجاب إلى كل ما تطلب؛ لأنها ناقصة عقل، وناقصة دين، كما وصفها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ بذلك[2].

٢٤٣ - الذنوب وأثرها على العلم والفهم

المعاصي سبب لقلة الفهم ـ أعني: فهم كلام الله عَزَّوَجَلَّ ـ أو للعدوان في فهمه؛ لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِۦۚ﴾ [المائدة:١٣]، وتحريف الكلم

---

(١) سورة العنكبوت، الآية رقم ٣٧، ص١٨٦.

(٢) سورة القصص، الآية رقم ١٠، ص٤٩، ٥٠.

عن مواضعه: إما أن يكون سببه الجهل وفقد العلم، وإما أن يكون سببه الاستكبار والعدوان، وعلى كلٍّ فالجملة معطوفة على ما سبق، أو أنها حال من فاعل ﴿قَٰسِيَةً﴾، يعني: حال كونهم يحرفون الكلم عن مواضعه، المهم أن المعاصي سبب لعدم الأخذ بالنصوص، وسبب لتحريفها[1].

٢٤٤ - إثبات الوجه لله تعالى

في قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام:٥٢] إثبات الوجه لله عَزَّوَجَلَّ، والوجه صفة حقيقية لله عَزَّوَجَلَّ، يجب علينا أن نؤمن بذلك، ولكن على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وأما من فسر ذلك بأن المراد بالوجه الثواب فقد أخطأ؛ لأن ذلك مخالف لظاهر اللفظ ومخالف لإجماع السلف، ثم إن الله عَزَّوَجَلَّ قال في القرآن الكريم: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦، ٢٧] جعله وصفًا للوجه، ولا يمكن أن يقال: إن الثواب هو الموصوف بأنه ذو الجلال والإكرام.

وتأمل هذا مع قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨] فـ﴿ذِى﴾ بالجر صفة لـ(رب)، ولم تكن بالرفع صفة للاسم، مع أن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ لها من الجلالة والتعظيم ما لها، ولكن نسأل الله العافية ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠]، وسبحان الله لا أدري؛ بماذا يلاقي الإنسان ربه يوم القيامة؟ إذا كان الله تعالى قد قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧]، وقال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾، وما أشبه ذلك من الآيات، ثم يقول: لا وجه لك يا رب، والمراد بوجهك الثواب، لا أدري كيف يستطيع الإنسان أن يجيب الله عَزَّوَجَلَّ؟[2].

---

(١) سورة المائدة، الآية رقم ١٣، ١/ ١٩٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية رقم ٥٢، ص٢٦٦، ٢٦٧.

٢٤٥- التيمم والبحث عن الماء

يجب طلب الماء للاغتسال؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ [المائدة:٦]، قال العلماء: ولا يقال: غير واجد إلا لمن طلب، فيقول: طلبت فلم أجد، أما إنسان باقٍ قاعد، ويقول: لم أجد، هذا غير صحيح.

ولكن كيف يكون هذا الطلب، هل يجب عليه أن يطلب الماء من مسافات بعيدة، أو بقدر ما لا يكون فيه مشقة؟

الثاني، يعني يجب عليه أن يطلب الماء في الأماكن القريبة منه التي لا يلحقه حرج بطلب الماء فيها، وإذا تيقن عدم وجود الماء حوله فلا يجب عليه البحث عند كل صلاة؛ لأن هذا عبث ومنافٍ للحكمة ومنافٍ للشرع(١).

٢٤٦- سبب انحراف العلماء

في قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ بيان أن المنحرف عن الدين وعن نشر العلم ينحرف لأحد سببين: السبب الأول: خشية الناس، والسبب الثاني: الطمع في الدنيا، وجه ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [المائدة:٤٤] فلو أنك تأملت أسباب الانحراف، وأعني بذلك انحراف العلماء، لوجدته يدور على شيئين: إما الخوف من الناس، وإما طلب الدنيا والرئاسة والمال، وما أشبه ذلك(٢).

---

(١) سورة المائدة، الآية رقم ٦، ١/ ١١٩.

(٢) سورة المائدة، الآية رقم ٤٤، ١/ ٤٣٣.

٢٤٧- المكره على قول أو فعل

في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٣٣]، كل من أكره على قول أو فعل فإنه لا حكم لفعله ولا لقوله، يدل على ذلك مع هذه الآية قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦]، في هذه الآية الكريمة هل قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ أي على الكفر بالقول أو الكفر بالفعل أو بهما جميعًا؟ بهما جميعًا، ولم تخصص الآية القول، ففي هذه السورة الإكراه على البغاء، والبغاء فعل[1].

٢٤٨- على قدر اتباعك للرسول ﷺ يكون نصر الله عَزَّوَجَلَّ لك

في قوله تعالى: ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [القصص:٣٥] دليل على أن الإنسان يُنصر ويُغلب باتباع الرسل، وأنه لا طريق إلى النصر والغلبة إلا بالدخول في طريق الرسل واتباعهم.

وعليه فتكون من هذه قاعدة: «كل من كان للرسول أتبع كان إلى النصر أقرب، وكل من كان من اتباع الرسول أبعد كان عن النصر أبعد»؛ لأنه من المعلوم في القواعد المقررة أن الحكم إذا علق بوصف كان ثبوته قوة وضعفًا ووجودًا وعدمًا، بحسب ذلك الوصف.

فمثلًا يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣]، وجود المعية للمتقين قوة وضعفًا بحسب تقواهم... وهكذا[2].

(١) سورة النور، الآية رقم ٣٣، ص٢٢٥، ٢٢٦.
(٢) سورة القصص، الآية رقم ٣٥، ص١٧١، ١٧٢.

٢٤٩- القدر لا ينافي فعل الأسباب

إثبات القدر لا يعني الكف عن الأسباب، ففي هذه الآية: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [العنكبوت:٦٢]، بيَّن الله أن بسط الرزق وتقديره بيده، وفي آية أخرى يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك:١٥]، لم يقل: ناموا على الفُرش، ويأتيكم الرزق، بل قال: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾، فالقدر لا ينافي فعل الأسباب؛ لأنه قد يكون مقدرًا عليك بهذا السبب، كما أن دخول الجنة والنجاة من النار له سبب وهو العمل، فإذا لم تعمل لم يحصل لك الفوز بالجنة والنجاة من النار[(١)].

٢٥٠- التفكر في عاقبة الأمم السابقة

في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ﴾ [الروم:٤٢]، هل المراد السير بالأقدام، أو السير بالعقول والتفكير؟

يشمل السير بالأبدان بأن يذهب الإنسان إلى مساكن القوم ليتعظ ويعتبر،أو السير بالقلوب بأن يقرأ تواريخهم وأحداثهم حتى يعتبر بهم، وكم من سيرٍ بالقلب صار أعظم من السير بالقدم! ولكن السير بالقدم لأجل التفرج والنزهة هذا محرم، كما يفعله بعض الناس الآن، يذهبون إلى ديار ثمود من أجل التفرج والنزهة، والاطلاع على ما لهم من قوة سابقة مع أن الرسول ﷺ يقول: «**لا تدخلوا على هؤلاء القوم إلا وأنتم باكون، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوها**»، أين الذين يذهبون إلى ديار ثمود وهم يبكون؟ الرسول ﷺ لما مر بها في ذهابه

---

(١) سورة العنكبوت، الآية رقم ٦٢، ص٣٧٩.

إلى تبوك مشى مسرعًا، وقنع رأسه، نزلها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ - وأسرع نعم، وعلى هذا فنقول: إذا سرت في أرض هؤلاء المعاقبين فسر سير متعظ معتبر، نعم كما أمر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ(١).

٢٥١- نظرية داروين

في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة:٧] تكذيب النظرية الكاذبة، وهي نظرية داروين الذي يقول: إن الخلق نشأ بالتطور، وأن أصل الإنسان قرد، ثم صار على طول الزمن إنسانًا، وعلى قاعدته لا ندري ماذا سيكون الإنسان على طول الزمن؟! ولا شك أن هذه النظرية باطلة، وكفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، نأخذها من قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة:٧]، فلا أصدق من هذه الآية شيء(٢).

٢٥٢- كيفية غُسل الجنابة

يجب غسل البدن كاملًا من الجنابة؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ﴾ [المائدة:٦].

لو قال قائل: المريض إذا كان عليه جنابة، ولا يستطيع أن يغتسل فهل يلزمه الوضوء، وإذا كان أيضًا عادم الماء وهو عليه الجنابة يعني لم يجد إلا ماء يكفي لوضوئه فهل يتوضأ؟

الجواب: الظاهر أنه يتوضأ؛ لأن الوضوء يخفف الجنابة؛ ولهذا قال النبي ﷺ

(١) سورة الروم، الآية رقم ٤٢، ص٢٦٢.
(٢) سورة السجدة، الآية رقم ٧، ص٤٨.

في الرجل ينام وهو جنب، قال: «**نعم إذا توضأ**»، وكذلك أيضًا الجنب إذا أراد الجلوس في المسجد يتوضأ، فإذا كان الوضوء له تأثير في تخفيف الجنابة فليتوضأ.

ولا يشترط في الغسل ترتيب، وأن المغتسل لو بدأ من أسفل بدنه أو من وسط بدنه أو من أعلى بدنه وعمه بالماء كان ذلك مجزئه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾ ولم يُفَصِّل.

وقال بعض الناس: بل يجب الغسل كما اغتسل النبي ﷺ، فإن هذه الآية مجملة، وبينتها السنة النبوية، وعلى هذا فلا بد أن يكون الاغتسال كاغتسال النبي ﷺ، وهذا كقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فبين الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ـ كيفية إقامتها وقال: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»، ولكن هذا ضعيف، والصواب أنه لا يشترط فيه الترتيب، ويدل لذلك: أنه ثبت في صحيح البخاري في قصة الرجل الذي لم يره النبي ﷺ يصلي بعد أن انتهى من صلاته، فسأله: «**لماذا لم تصل؟**»، قال: أصابتني جنابة ولا ماء، يعني: ليس عندي ماء أغتسل به، فقال: «**عليك** بالصعيد فإنه يكفيك» وبعد ذلك جيء بالماء، وانتهى الناس من الشرب، وسقي إبلهم، فقال النبي ﷺ حين بقي بقية قال لهذا الرجل: «**خذ هذا فأفرغه على نفسك**» فأخذه الرجل واغتسل، ووجه الدلالة: أن النبي لم يذكر له كيف يغتسل، قال: «**فأفرغه على نفسك**»، وعلى هذا فيكون هذا الحديث موافقًا لظاهر القرآن، وهو أن الواجب في الغسل أن يعم البدن على أي كيفية كانت، لكن لا شك أن اتباع السنة أولى.

فإن قال قائل: إذا انغمس الرجل في بركة أو في بحر ناويًا رفع الحدث من الجنابة، ثم خرج فهل يكفيه؟

الجواب: نعم يكفيه لكن لابد من المضمضة والاستنشاق، والدليل على هذا أنه يجب أن يطهر الفم والأنف في الحدث الأصغر ففي الأكبر من باب أولى[1].

٢٥٣- المعاصي سبب لنسيان العلم

المعاصي سبب لنسيان ما ذُكِّر به الإنسان؛ لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة:١٣]، وقد تقدم أن النسيان نوعان: نسيان علم ونسيان عمل، وهذا كله لا شك له سبب.

أما كون المعاصي سبب لنسيان العلم فقد دل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد:١٧]، فإذا كانت الهداية سببًا لزيادة العلم فالمعصية سببٌ لنقصانها، وأما كون المعاصي سببًا لنسيان الترك فلقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة:٤٩]، يعني إن تولوا وأعرضوا فاعلم أن سبب ذلك هو أنهم أذنبوا، فأراد الله تعالى أن يصيبهم ببعض ذنوبهم[2].

٢٥٤- حلف اليمين وكفارته

إن كفارة اليمين على التخيير في أشياء ثلاثة: إطعام المساكين، وكسوتهم، وعتق الرقبة، هذا على التخيير، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ

---

(١) سورة المائدة، الآية رقم ٦، ص١١٥-١١٧.

(٢) سورة المائدة، الآية رقم ١٣، ١/ ١٩٨.

أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ﴾ [المائدة:٨٩]، وما اشتهر عند العوام من أن كفارة اليمين هي الصيام فخطأ، فينبغي لطلبة العلم أن يبينوا للناس أن الصيام لا يجوز إلا لمن يقدر على واحدة من الثلاث التي قبلها (١).

٢٥٥ - القرآن حجة

من بلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة؛ لقوله تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ﴾ [الأنعام:١٩]، ولكن هل من بلغه القرآن وهو لا يعرف اللغة العربية هل يقال: إنه قامت عليه حجة؟

الجواب: لا، والدليل قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ﴾ [إبراهيم:٤]، عندنا أيضًا مسألة أخرى إذا بلَّغ القوم قومًا يعرفون اللغة العربية ولكنهم عاشوا في أحضان أئمة الضلال لا يدرون شيئًا؛ إذ إن أئمة الضلال عندهم هم المبلغون عن الله ورسوله، فهل هؤلاء معذورون أو غير معذورين؟

والذي أرى أنهم معذورون، ولكن عليهم إذا نُبِّهوا للحق أن يبحثوا عنه، فإن أصروا مع التنبيه، وقالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف:٢٢]، فهم كفار، وهذا هو الذي تجتمع به الأدلة عندي أنهم إن بقوا على جهلهم، ولم ينبهوا للحق فهم معذورون، وإلا فهم غير معذورين، وهذا فيمن يدين بدين الإسلام (٢).

---

(١) سورة المائدة، الآية رقم ٨٩، ٢/ ٣١٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية رقم ١٩، ص١٠٨، ١٠٩.

٢٥٦ - النائم لا إرادة له

في قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف:١٨]، الفعل ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾، فيه دليل على أن فعل النائم لا ينسب إليه، ووجه الدلالة أن الله أضاف تقليبهم إليه، فلو أن النائم قال في نومه: امرأتي طالق، أو في ذمتي لفلان ألف ريال لم يثبت؛ لأنه لا قصد له، ولا إرادة له، لا في القول ولا في الفعل[(١)].

٢٥٧ - جريان الشمس والقمر حول الأرض

في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [العنكبوت:٦١]، دليل على أنهما هما اللذان يجريان حول الأرض، خلافًا لمن قال: إنهما لا يسيرَان على الأرض، وأنَّ اختلاف الليل والنهار بسبب دَوَران الأرض نفسِها.

ولا شكَ أنَّ الذي لا يعتقد أنهما يدوران على الأرض أنَّه على خطر عظِيم، ربما يصل به ذلك إلى الكفر؛ لأنّ الذي نؤمن به ونعتقِدُه ما أخبرَنا الله عنه مِن أنَّ الشمس هي التي تدور على الأرض، وكذلك القمر قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف:١٧]، فأضَاف الله تعالى هذه الأفعَال الأربعة كلها إلى الشمس: ﴿طَلَعَت﴾ ﴿تَّزَاوَرُ﴾ ﴿غَرَبَت﴾ ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾.

ولو كان الأمر كما يقول هؤلاء الخَرَّاصُون لكان الأرض هي اللي تزَاور، وهي التي تطْلُع على الشمس، وهي التي تغرُب عن الشمس، فهم ما عندهم إلا أمور ظَنِّيَّة فقط، والقرآن دلالتُه ظاهرة على أنَّها هي التي تدور على الأرض،

(١) سورة الكهف، الآية رقم ١٨، ص٣٥.

وكذلك القمر، والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا غربت الشمس قال لأبي ذر: «**أتدري أين تذهب؟**»، ولم يقل: أتدري أين نذْهَب عن الشمس، بل الشمس هي التي تذهب، وهي التي تأتِي، وهي التي تستأذِن، وهي التي يُؤْذَن لها أو تُمْنَع[1].

٢٥٨- الفرق بين الخوف والخشية

في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ [لقمان:٣٣]، الخشية أخص من الخوف؛ لأنها تكون مع العلم بحال المخشي؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، ولأن سببها قوة المخشي، وأما الخوف فسببه ضعف الخائف ـ وهذا هو الغالب ـ أما الخشية فأخص، يعني: اخشوا هذا اليوم العظيم الذي صفته كيت وكيت، وقد بينه الله عَزَّوَجَلَّ[2].

٢٥٩- إكرام أهل الجنة

أهل الجنة يُكرمون بما ينعمون به، كما يُكرم الضيف بضيافته؛ لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا﴾ [السجدة:١٩]، وتعلمون ما يجلب للضيف من السرور في نفسه إذا أكرم بالضيافة بخلاف الذي يقدم له الطعام عاديًا، يرى أنه شيء معتاد ليس له أهمية، لكن الذي يقدم له كضيافة، وكأنه رجل مكرم ومحترم يجد في نفسه تلذذه بالطعام التلذذ الجسدي، ويجد تلذذًا وراحة نفسية وإكرامًا؛ ولهذا سماه الله تعالى: ﴿نُزُلًۢا﴾ [السجدة:١٩][3].

---

(١) سورة العنكبوت، الآية رقم ٦١، ص٣٧٠، ٣٧١.

(٢) سورة لقمان، الآية رقم ٣٣، ص١٩٣.

(٣) سورة السجدة، الآية رقم ١٩، ص٩٤، ٩٥.

٢٦٠ - الرد على الجاهل

في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣]، أي: قولًا يسلمون فيه من الإثم، وليس المراد «سلامًا» يعني: السلام عليكم، كما يظن بعض العامة؛ ولذلك تسلط الفعل عليها فنصبها، ولو كان المراد بالسلام الجملة السلامية لقال: قالوا: سلام، ولكن المراد مثلما قال المفسر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قولًا يسلمون فيه من الإثم»، ومن التطاول في الأذية؛ لأن الرجل إذا قابل الجاهل بمثل قوله فالجاهل لا حدود له، لا يحده شرع ولا عقل، إذا قال كلمة أتاه بكلمتين، أو بعشرة، لكنه إذا كان عاقلًا مؤمنًا متزنًا فإنه يقول قولًا يسلم فيه من الإثم ومن الأذية، وهذا القول يحفظ للإنسان كرامته؛ لأنه لم يقل: إنهم يسكتون، بل قال: قالوا قولًا، فلابد من قول، لكنه قول يسلمون به من أذية الجاهل ومن إثمه، ومن النزاع والخصومة، وينتصرون لأنفسهم، فلا يحسبهم الجاهل جبناء، ولا يحسبهم متصفين بما يقول إذا سكتوا؛ لأنهم إذا سكتوا مع القدرة على الإنكار فإنه يدل على أنهم راضون بما وُصفوا به، ولابد من مقابلتهم، ولكن كما قال الله تعالى بقول يسلم فيه الإنسان من الإثم فيما بينه وبين الله، ومن اللجاج والخصومة فيما بينه وبين هؤلاء الجاهلين[(١)].

٢٦١ - الاستفتاء طلبًا للرخصة

من استفتى عالمًا طلبًا للرخصة ففيه شبه من اليهود؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [المائدة:٤٣]؛ ولهذا قال العلماء: يحرم الاستفتاء طلبًا للرخصة، وقالوا: من تتبع الرخص فقد

---

(١) سورة الفرقان، الآية رقم ٦٣، ص٢٧٢.

تزندق، وصفة تتبع الرخص أنه إذا أفتاك عالم ولم ترد فتواه ذهبت إلى عالم آخر ليفتيك بما يناسبك، ولا شك أن المستفتي إنما أراد اتباع الهوى دون الهدى؛ لأنه لما أفتي بما يرى هو أنه الحق ذهب إلى عالم آخر، وقلنا: يرى أنه الحق؛ لأنه لم يستفتِ هذا العالم إلا وهو يعتقد أن فتواه حق وشريعة، فلما لم يوافق هواه ذهب ليستفتي آخر، فصارت حاله تنادي بأنه لا يريد الهدى، وإنما يريد الهوى.

نعم لو أن الإنسان استفتى عالمًا في مكان في بلدته، لا يرى عالمًا أحسن منه، لكن في نيته أنه لو حصل له أن يستفتي من هو أعلم لفعل، فهنا نقول: لا بأس أن يأخذ بقوله، وإذا ظفر بعالم أوثق منه عنده فليستفته، ويكون هنا بمنزلة استعمال التراب بدلا عن الماء عند العجز عنه، وبمنزلة أكل الميتة عند العجز عن أكل المذكاة، وعليه فيفرق بين شخصين سألا عالمًا، ثم استفتيا غيره، أحدهما سأل هذا العالم؛ لأنه لا يرى في بلده من هو أعلم منه، وفي نيته أنه إذا ظفر بمن هو أوثق استفتاه، فاستفتاء هذا للعالم الثاني حكمه جائز، والثاني استفتى العالم الذي في بلده على أن فتواه هي الحق، لكنه تثاقلها، ثم استفتى عالمًا آخر لعله يجد رخصة، هذا لا يجوز، اثنان عملهما واحد، لكن حكمهما مختلف[1].

٢٦٢- أثر البئية على دين الإنسان

قوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [النمل:٤٣]، بين أن الذي صدها عن عبادة الله أنها اشتغلت من أول أمرها بعبادة غير الله؛ لأنها كانت من قوم كافرين، فنشأت في بيئة كافرة، واشتغلت بعبادة المخلوق عن عبادة

(١) سورة المائدة، الآية رقم ٤٣، ١/ ٤٢١، ٤٢٢.

الخالق، وقد أخبر النبي ﷺ: «**إن كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه**».

والبيئة لها تأثير؛ لقوله: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾، فهؤلاء القوم أثروا عليها فصارت كافرة تعبد مع الله غيره، و ينبغي التحذير من مصاحبة الأشرار؛ لقوله: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾، حتى لو كانوا من أقاربك فلا ينبغي أن تصاحبهم، وإذا كان لهم حق عليك بالقرابة فأعطهم حقهم الذي لهم، ولكن لا تكن مخالطًا لهم ومصاحبًا لهم؛ لأن النبي ﷺ قال فيما يروى عنه، وهو حديث حسن: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»، وهذا شيء واقع يشهد له التاريخ السابق والحديث[1].

٢٦٣-الدعاء بحال الداعي

يجوز التوسل إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بحال الداعي، ويؤخذ هذا من قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [القصص:١٦]، فالظالم لنفسه محتاج إلى نصيحة، فهو توسل إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بحال الداعي، ومنه قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤].

والتوسل إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يكون بحال الداعي، ويكون بالثناء على الله بأسمائه وصفاته، وكذلك بأفعاله، التي ينعم بها، وقد اجتمع الجميع في تعليم النبي ﷺ لأبي بكر عندما قال له: علمني دعاءً أدعو به في صلاتي؟ قال: «**قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من**

---

(١) سورة النمل، الآية رقم ٤٣، ص٢٣٨، ٢٣٩.

عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[1].

٢٦٤ - طلب الأسباب في الرزق

في قوله تعالى: ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [القصص:٧٣] إثبات الأسباب، حيث قال: ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ﴾ أي: لتطلبوا، فالرزق لا يأتي من السماء وينزل، بل لابد فيه من طلب، وإذا لم تفعل هذا السبب الذي تحصل به على الرزق، لم يحصل الرزق؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حكيم ربط الأسباب بمسبباتها.

والرزق منة من الله عَزَّوَجَلَّ وفضل وعطاء، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [القصص:٧٣]، فليس حاصلًا بمجرد كد الإنسان وكدحه، فكم من إنسان يكد ويكدح، ومع ذلك يكون رزقه ضيقًا، وكم من إنسان يفعل أسبابًا أقل مما فعله الأول، ثم يوسع له في الرزق[2].

٢٦٥ - المعاصي والفساد بالأرض

الفساد سببه أعمال بني آدم؛ لقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾ [الروم:٤١]، ويدل لهذا أيضًا قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦][3].

---

(١) سورة القصص، الآية رقم ١٦، ص٧٥.

(٢) سورة القصص، الآية رقم ٧٣، ص٣٢٩.

(٣) سورة الروم، الآية رقم ٤١، ص٢٥٧، ٢٥٨.

٢٦٦ - الإشارة إلى أن المدار في الإيمان على القلب

إن المدار في الإيمان على القلب؛ لقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة:٤١]، فالإيمان باللسان ليس إيمانًا حتى يكون مبنيًّا على إيمان القلب، وإلا فإنه لا ينفع صاحبه[١].

٢٦٧ - عواقب الذنوب

في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ [الأنعام:٤٧] التحذير من نزول العذاب إما بغتة وإما جهرة، فلا يأمن الإنسان إذا كان عاصيًا أن ينزل به العذاب، لكن أيظن أن العذاب هو عقوبة الجسد فقط، فرغم أن عقوبة الجسد عذاب في حد ذاتها إلا أنه هناك ما هو أكبر منها، وهو الإعراض عن دين الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة:٤٩]؛ ولهذا قال العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ: «إن المعاصي بريد الكفر»، ينزلها الإنسان مرحلة مرحلة، كما ينزل البريد المسافة مرحلة مرحلة حتى يصل إلى الكفر والعياذ بالله، ووجه ذلك ظاهر؛ لأن المعاصي تقسِّي القلب، وتسوِّد القلب، وتيبس القلب، حتى يصبح ميتا، وتحل الكارثة، ولكن الحمد لله، جعل الله لكل داء دواء، فالمعصية أتبعها بالتوبة، فإذا تبت فالتوبة تهدم ما قبلها، وتكون كأنك لم تذنب، ولله الحمد، بل إن الإنسان إذا تاب إلى الله توبة نصوحًا ربما تكون حاله بعد التوبة أكمل من حاله قبل المعصية[٢].

---

(١) سورة المائدة، الآية رقم ٤١، ١/ ٤٠٣.
(٢) سورة الأنعام، الآية رقم ٤٧، ص٢٣٢، ٢٣٣.

٢٦٨ - التحدث بنعم الله عَزَّ وَجَلَّ

يجوز للإنسان أن يتحدث بنعمة الله؛ لقول الله تعالى عن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ [النمل:٣٦]، ولكن هل يتحدث بهذه النعمة على سبيل الافتخار، أو على سبيل الافتقار والاستصغار؟

نرى أنه على حسب الحال، فمع العدو يجوز أن يتحدث بها افتخارًا؛ ولذلك تجوز الخيلاء في الحرب، مع أن الخيلاء محرمة ومن الكبائر، لكن في الحرب لإغاظة العدو لا بأس بها، فسليمان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تحدث هنا بنعمة الله افتخارًا - فيما يظهر لي - على هؤلاء القوم، وهذا لا بأس به إذا كان أمام العدو، فأما إذا كان لإظهار النعمة فإنه لا يجوز إلا على سبيل الاستصغار والافتقار إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، لا على سبيل الافتخار والعلو على الخلق[1].

٢٦٩ - الشهادة بالعدل

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء:١٣٥]، أي: تشهدون بالقسط لله عَزَّ وَجَلَّ، لا يحملكم على هذا رياء ولا سمعة، ولا دنيا، ولا غير ذلك، شهداء لله فقط، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق:٢]، وقوله: ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾، الشهادة على النفس ممكنة، تشهد على نفسك قبل أن تشهد نفسك عليك، والشهادة على النفس هي الإقرار بأن يقول: فعلت كذا، وفعلت كذا.

قوله: ﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾، أي: الأم والأب، حتى على الأم والأب اشهد ولو

---

(١) سورة النمل، الآية رقم ٣٦، ص١٩٥، ١٩٦.

غضبوا؛ لأن رضا الله مقدم على رضا الوالدين، وقوله: ﴿وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ﴾، مثل الإخوان والأبناء والأجداد والأعمام والأخوات والخالات، والقرابة الذين ليسوا بأقربين من باب أولى، لكن الله نص على ذلك؛ لأن النفس قد تميل إليهم فلا تشهد بالعدل[1].

٢٧٠- نصرة الرسل عليهم الصلاة والسلام

يجب نصرة الرسل؛ لقوله تعالى: ﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ﴾ [المائدة:١٢]، فنصرتهم في حياتهم أن يكون معهم في الجهاد والدفاع وغير ذلك، ونصرتهم بعد وفاتهم أن ينصروا شرائعهم، ويقيموها بين الناس، فواجب علينا نحن الآن أن ننصر شريعة النبي ﷺ[2].

٢٧١- حضور القلب عند ذكر الله عز وجل

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف:٢٨]، في هذه الآية إشارة إلى أهمية حضور القلب عند ذكر الله، وأن الإنسان الذي يذكر الله بلسانه لا بقلبه تنزَع البركة من أعماله وأوقاته حتى يكون أمره فُرطًا عليه، تجده يبقى الساعات الطويلة ولم يحصل شيئًا، ولكن لو كان أمره مع الله لحصلت له البركة في جميع أعماله[3].

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ١٣٥، ٢/ ٣٢٥.

(٢) سورة المائدة، الآية رقم ١٢، ١/ ١٨٤.

(٣) سورة الكهف، الآية رقم ٢٨، ص٦٢.

٢٧٢ - علاقة الذنوب بالقلب

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف:٥٧]، الإنسان والعياذ بالله كلما أوغل في المعاصي، ازداد بعدًا عن الإقبال على الحق كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥]؛ ولذلك يجب أن يعلم من أشد عقوبات الذنوب أن يعاقب الإنسان بمرض القلب والعياذ بالله، الإنسان إذا عوقب بهلاك حبيب أو فقد محبوب من المال، فهذه عقوبة لا شك، لكن إذا عوقب بانسلاخ القلب فهذه العقوبة أشد ما يكون، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والله ما خوفي الذنوب فإنها	لعلى طريق العفو والغفران
وإنما أخشى انسلاخ القلب من	تحكيم هذا الوحي والقرآن

هذا هو الذي يخشاه الإنسان العاقل، أما المصائب الأخرى فهي كفارات وربما تزيد العبد إيمانًا[(١)].

٢٧٣ - فهم القرآن

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الكهف:٥٧]، أي: يفقهوا القرآن فلا يفهمونه، وفي هذا الحث على فقه القرآن، وأنه ينبغي للإنسان أن يقرأ القرآن، ويتعلم معناه، كما كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموها، وما فيها من العلم والعمل[(٢)].

---

(١) سورة الكهف، الآية رقم ٥٧، ص١٠٣.
(٢) سورة الكهف، الآية رقم ٥٧، ص١٠٤.

٢٧٤- النعم وتقوى الله عَزَّوَجَلَّ

في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾ هذه النعم التي يمد الله بها العبد تستوجب أن يقوم بتقوى الله؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ [الشعراء:١٣٢] فيه التعليل للأمر بالتقوى، فتكون النعم مستوجبة لتقوى العبد لربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا للأشر والبطر والبعد عن الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم﴾ [الشعراء:١٣٢]، حيث عدل عن قوله: «واتقوا الله» إلى ما ذكر إشارة إلى أن السبب كبير لوجوب التقوى [١].

٢٧٥- القرآن والقلب

في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩٤] خص القلب؛ لأنه محل الوعي، وفيه دليل على عناية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالقرآن، وعلى كمال حفظ الرسول له ﷺ، لأن ما نزل على القلب يثبت ويرسخ، بخلاف ما سمعته الأذن، فإن الأذن قد توصل إلى القلب، وقد لا توصل، فقد يكون قلبه غافلًا، ولكن هنا كان على القلب [٢].

٢٧٦- الدعاء سبب لرد القضاء

في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ [القصص:١٦] إثبات أن الدعاء سبب لرد القضاء، خلافًا لمن أنكر سببيته.

فقد يقول قائل: إن الشيء إن كان قد كتب لي لم يحتج إلى دعاء، وإن كان لم يكتب لي فلا فائدة من الدعاء.

(١) سورة الشعراء، الآية رقم ١٣٢، ص٢٢٩.
(٢) سورة الشعراء، الآية رقم ١٩٤، ص٢٨٥، ٢٨٦.

والجواب على ذلك أن يقال: هو مكتوب لك بالدعاء، مكتوب لك بهذا الشرط بالدعاء، مثلًا لا يقول قائل: أنا لا أدعو؛ لأن المكتوب لابد أن يحصل، وما لا يكتب لا يمكن أن يحصل، فهذا ليس بصحيح؛ لأنه مكتوب لك بهذا السبب.

كما لو قال قائل: أنا لن أتزوج، إن كان الله قدر لي ولدًا فسيكون، وإن لم يكن قد قدر لي ولدًا، فلا فائدة من الزواج، نقول: ولكنه مقدر بالزواج، فهذه الأمور الغيبية مثل الأمور المشاهدة، كما أن الأمور المشاهدة لا تصلح إلا بفعل الأسباب التي توصل إليها، فكذلك الأمور الغائبة لا تصلح [1].

٢٧٧ - العمل الذي ينفع صاحبه

قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [ص:٢٨]، أي: عملوا الأعمال الصالحات،

والأعمال الصالحات هي التي اجتمع فيها شيئان:

الأول: الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ.

والثاني: المتابعة لشريعة الله، فمن عمل عملًا موافقًا للشريعة في ظاهره لكنه يرائي فيه فعمله ليس بصالح، لاختلال الإخلاص، والذي عمل عملًا مخلصًا فيه لله يريد به وجه الله، لكنه على غير الشريعة ليس بصالح؛ لأنه غير موافق لشريعة الله، فلابد من أن يكون العمل خالصًا لله، وموافقًا لشريعة الله [2].

---

(١) سورة القصص، الآية رقم ١٦، ص٧٦.
(٢) سورة ص، الآية رقم ٢٨، ص١٣٣.

٢٧٨- قضاء الله عَزَّ وَجَلَّ

قضاء الله نفسه ليس فيه شر أبدًا، بل هو خير؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم:١٨]، في جميع الأحوال، المقضي يكون فيه الشر، ومع ذلك فإننا نقول أي مع إثباتنا أن الشر في المفعولات لا في الفعل، نقول أيضًا: إن هذا الشر في المفعولات ليس شرًّا محضًا لا خير فيه، بل قد يكون شرًّا من وجه، وخيرًا من وجه في نفس المحل، كقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١]، وقد يكون شرًّا في محله خيرًا في محل آخر[١].

٢٧٩- متى يحرم طاعة الوالدين

تحرم طاعة الوالدين إذا أمرا بالشرك؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ [العنكبوت:٨]، ويُقاس على ذلك كل معصية أمرا بها فإنهما لا يُطاعان؛ لقول الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[٢].

٢٨٠- دعوة المضطر والمظلوم مستجابة ولو كان كافرًا

تجاب دعوة المضطر ولو كان كافرًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان:٣٢]، فهؤلاء أجاب الله تعالى دعوتهم، مع علمه بأنهم كفار

---

(١) سورة الروم، الآية رقم ١٨، ص٩١.

(٢) سورة لقمان، الآية رقم ١٥، ص٩٦.

وسيكفرون، ويؤيد هذا عموم قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢]، ولم يقول: المؤمن، بل قال: ﴿ٱلْمُضْطَرَّ﴾، وهو عام.

وكذلك أيضًا المظلوم تستجاب دعوته ولو كان كافرًا، لعموم قول الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لمعاذ بن جبل: «**اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[1].

٢٨١ - فضيلة قيام الليل

في قول الله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة:١٦] فضيلة قيام الليل؛ لأن الله تعالى ذكره في سياق المدح، لكن هذا الإطلاق مقيد بما جاء في السنة، يعني بألا يكون جميع الليل، بل تتجافى جنوبهم عن المضاجع في حدود ما جاءت به السنة، وبهذا نعرف خطأ ما يوجد في كتب الوعظ من أن فلانًا صلَّى صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، يعني: أنه ما نام الليل، بل يقوم الليل، وهذا خطأ.

وهذا تبرأ منه الرسول ﷺ، في حديث الجماعة الذين قال أحدهم: أنا أقوم الليل ولا أنام، قال ﷺ: «**أما أنا فأقوم وأنام، ومن رغب عن سنتي فليس مني**»[2].

٢٨٢ - علم الساعة

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان:٣٤]، الساعة هي القيامة، وسميت الساعة لأنها أعظم حدث يكون؛ ولأن فيها وعيدًا للمكذبين؛ ولهذا يتوعد بالساعة، فيقال مثلًا: «ساعتك عندي» إذا أردت أن تهدد إنسانًا تهدده بكلمة

(١) سورة لقمان، الآية رقم ٣٢، ص١٩١.
(٢) سورة السجدة، الآية رقم ١٦، ص٨٦، ٨٧.

«الساعة»؛ لأنه يقع فيها حدث عظيم[1].

٢٨٣- القرآن تبيان لكل شيء

القرآن تبيان لكل شيء، ولا يخفى على أحد تبيان القرآن إلا لعلة فيه ليست في القرآن، لعلة في نفس الذي خفي عليه؛ لأنا نجزم بصدق هذه القضية، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩]، وما خفي على أحد من الناس ما خفي من الأحكام، إلا لقصور في فهمهم، أو في علمهم، أو في إرادتهم، فهو إما قاصر في الفهم لا يفهم، وهذا لا يتبين له الشيء، وإما قاصر في العلم ليس لديه معلومات، وإما قاصر في قصده، أي: نيته؛ ولهذا قال شيخ الإسلام: «من تدبر القرآن طالبًا الهدى منه تبين له طريق الحق»[2].

٢٨٤- عقوبة الطغاة

يعاقب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الطاغين، وذلك بإزالة النعم عنهم، إما بإخراجهم منها، وإما بإزالتها هي، ويؤخذ هذا من قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء:٥٧][3].

٢٨٥- ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾

في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٧]، فكان الجواب ـ والعياذ بالله ـ أعظم جواب في الإهانة: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨]، والعياذ بالله هذا الجواب في غاية الإهانة والصغار والذل، وقد

(١) سورة لقمان، الآية رقم ٣٤، ص٢٠٢.
(٢) سورة الشعراء، الآية رقم ٢، ص١٦.
(٣) سورة الشعراء، الآية رقم ٥٧، ص١٢٦.

ذُكر أن الله تعالى لا يكلمهم إلا بعد مدة طويلة، يكلمهم بهذا الكلام الذي لا خير فيه لهم، بل هو تيئيس من كل خير ومن كل فرج، نسأل الله العافية [١].

٢٨٦ - العناية بالتوحيد

من أهم ما تنبغي العناية به التركيز على التوحيد وعدم الشرك؛ لأنه ذكر: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾[لقمان:١٣]، فبدأ به قبل كل شيء، وكان الرسول ﷺ إذا بعث أحدًا يدعو إلى الإسلام يأمره أول ما يبدأ به الدعوة إلى التوحيد؛ لأنها هي الأصل، وإذا لم يكن عند الإنسان توحيد فمن يعبد؟

فلابد أن يركز على التوحيد، ولكن لكل مقام مقال، فإذا كنا في بلد يكثر فيها الشرك فإنه ينبغي أن يكون كلامنا في التوحيد أكثر، وإذا كنا في بلد بالعكس لكن عندهم مخالفات في أمور أخرى ينبغي أن نركز عليها أكثر، وذلك مأخوذ من طريقة القرآن، ففي مكة كان التركيز على التوحيد في آيات القرآن أكثر، وفي المدينة كان التركيز على المعاملات وفروع العبادات أكثر، فلكل مقام مقال [٢].

٢٨٧ - آل النبي ﷺ يدخل فيهم أزواجه

في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾[النمل:٧] دليل على أن الزوجة من الأهل، وهذا هو القول الصحيح، فعلى هذا آل النبي ﷺ يدخل فيهم أزواجه؛ لأن الزوجة من الأهل [٣].

---

(١) سورة النمل، الآية رقم ٩٠، ص٥١٧.
(٢) سورة لقمان، الآية رقم ١٣، ص٨١، ٨٢.
(٣) سورة النمل، الآية رقم ٧، ص٥٢.

٢٨٨ - اللغة العربية والقرآن

في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥] إشارة إلى أنه ينبغي أن تكون اللغة العربية لغة جميع الخلق؛ لأن الشرع الذي نزل بها شرع جميع الخلق، فكان ينبغي أن تكون اللغة العربية لغة جميع الخلق، خلافًا لمن يريدون أن يذيبوها في عصرنا الحاضر، بأن يطالبوا بجعل اللغة العامية مكان اللغة العربية في المكاتبات والمراسلات وغيرهما، وأقبح من ذلك من يحاولون أن يتكلموا باللغة الأعجمية، كما يوجد من بعض الناس الذين يفخرون بلغة الإنجليز وغيرهم، فتجدهم يتشدقون بالكلام بها(١).

٢٨٩ - من أسباب العداوة والبغضاء بين الناس

إضاعة حق الله من أسباب إلقاء العداوة والبغضاء بين الناس، بمعنى أنك متى وجدت عداوة وبغضاء بين الناس، فهذا بسبب إعراضهم عن دين الله؛ لقوله تعالى: ﴿فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا﴾ [المائدة:١٤]، فـ﴿فَأَغۡرَيۡنَا﴾ الفاء للسببية(٢).

٢٩٠ - المحراب ومعناه الصحيح

المحراب مفعال من الحرب، وهو مكان العبادة، وليس المحراب هو طاق القبلة كما هو عند الناس، ورأيت في بعض المساجد مكتوب على طاق القبلة على القوس ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ [آل عمران:٣٧]، يجعلون الإمام مريم

(١) سورة الشعراء، الآية رقم ١٩٢، ص٢٨٦.
(٢) سورة المائدة، الآية رقم ١٤، ١/ ٢٠٥.

وهم لا يشعرون، ويخطئون أيضًا في المعنى؛ لأن المحراب مكان العبادة سواء كان طاقًا أو مربعًا أو حجرة؛ ولهذا قال الله تعالى في قصة داود: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص:٢١]، وسمي بذلك لأن المتعبد فيه يحارب الشيطان[١].

٢٩١ - رحمة الله عَزَّوَجَلَّ في الآخرة

قال تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان:٢٦]، ولم يقل: لله، إشارة إلى كثرة رحمة الله في ذلك اليوم، كما جاء في الحديث الصحيح: «**إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعًا وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة**»، فيظهر من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في ذلك اليوم ما لا يظهر في غيره؛ ولهذا عبَّر بقوله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾[٢].

٢٩٢ - التحدث بنعم الله لا يعد تكبرًا

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾إذا رأى الإنسان أنه أفضل من غيره بنعمة الله عليه فإن هذا لا ينافي التواضع، يعني عندما تشعر أن الله أنعم عليك بالمال، وفضَّلك على هذا، فهذا لا يعني أنك ترفّعت وتكبّرت، بل إنك لا يمكن أن تدرك نعمة الله عليك حتى تعرف ضدها في غيرك، فإذا رأيت مثلًا إنسانًا مبتلى في بدنه والله تعالى قد عافاك؛ عرفت فضل نعمة الله، تقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه به، وفضّلني عليه،

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ٣٧، ١/ ٢٢٣.

(٢) سورة الفرقان، الآية رقم ٢٦، ص٨٧، ٨٨.

وعندما ترى جاهلًا وأنت قد منَّ الله عليك بالعلم، فإنك كذلك أيضًا ترى فضل نعمة الله عليك بهذا العلم، ولا يُعد هذا من باب الترفُّع والاستهانة بالغير؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل:١٥][١].

٢٩٣ - قصص القرآن وزيادة الإيمان

قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص:١-٣]، هذه القصص سبب لحدوث الإيمان، وكذلك سبب لزيادته أيضًا، أي سبب لمن لم يؤمن حتى يؤمن، ولمن آمن حتى يزداد إيمانه، ثباتًا وكمية.

والدليل على أنه ينتفع بها غير المؤمن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف:١١١]، فكل إنسان عنده لب ـ أي عقل ـ فلابد له أن يعتبر وينتفع[٢].

٢٩٤ - بنو إسرائيل من أهل مصر

بنو إسرائيل من أهل مصر، مع أنهم في الأصل من أهل الشام، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [القصص:٤]، فيتفرع على هذه الفائدة: أن من سكن أرضًا، وأقام فيها، وإن لم يكن من أهلها في الأصل نسب إليها، وصار من أهلها[٣].

---

(١) سورة النمل، الآية رقم ١٥، ص١٠٤.
(٢) سورة القصص، الآية رقم ١-٣، ص١١.
(٣) سورة القصص، الآية رقم ٤، ص١٣.

٢٩٥ - الفرح بمصلحة الإسلام

في قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [الروم:٢-٤]، جواز فرح المؤمنين بانتصار بعض الكفار بعضهم على بعض، إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الروم:٤، ٥]، ما انتصر مسلمون على كفار، بل انتصر كفار على كفار، لكن هذا في مصلحة الإسلام، فلا بأس أن نفرح بانتصار بعضهم على بعض، إذا كان المنتصر فيه نفع للإسلام، ثم يساعدون المسلمين بالمال والسلاح، أو على الأقل قد كف شره مع أن الثاني فيه شر، لكنه أقل شرًّا من هؤلاء.

فعلى هذا إذا اقتتلت دولتان من دول الكفار وكانت إحداهما أقرب إلى نفع المسلمين من الأخرى، فهل فرحنا بانتصارها جائز أم نقول: كيف نفرح بانتصار كافر على كافر، فهو حرام؟

والجواب: هو جائز كما فرح المؤمنون بانتصار الروم على فارس، مع أن كليهما من الكفار، لكن هؤلاء أهل كتاب، فهم أقرب من المؤمنين، وأقرب إلى الإسلام ومراعاة المسلمين من المجوس[1].

---

(١) سورة الروم، الآية رقم ٤، ص٢٦، ٢٧.

٢٩٦ - الهداية بيد الله تعالى وحده

لا أحد يستطيع هداية إنسان أبدًا، أو انحراف إنسان إلا بإذن الله، هذا النبي ﷺ حرص غاية الحرص، وبذل ما يستطيع من جهد في هداية عمه أبي طالب، ولكن لم يتمكن ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦]، وليس معنى ذلك أننا إذا قلنا: إن الأمر بيد الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه هو الذي يضل ويهدي، ليس معنى ذلك ألا نفعل الأسباب، كما أن الأمر بيد الله في إيجاد الأشياء، إيجاد الرزق، وإيجاد الولد، ودفع الضرر، بل نفعل الأسباب، ونقول: الهداية بيد الله، والإضلال بيد الله، لكن لكل منهما سبب من جملة أسباب التبديل(١).

٢٩٧ - رؤية الله عَزَّوَجَلَّ

في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ [الروم:٣٨] الإشارة إلى رؤية الله عَزَّوَجَلَّ، ولا شك أن رؤية الله عَزَّوَجَلَّ ثابتة بالقرآن والسنة وإجماع السلف، ففي القرآن قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢، ٢٣]، معنى ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ الأول من النضارة وهي الحسن ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ بالظاء من النظر وهو الرؤية بالعين، وهذه الآية من أصرح ما في القرآن، وتوجد آية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين:٢٣]، وتوجد آية ثالثة وهي قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، فسرها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بأنها النظر إلى وجه الله، وتوجد آية رابعة وهي قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥]، وتوجد آية خامسة، وهي قوله تعالى في الأنعام: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣]؛ لأن

---

(١) سورة القصص، الآية رقم ٥٦، ص١٧٩، ١٨٠.

هذه الآية تدل على الرؤية؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ﴾، ونفي الإدراك يدل على ثبوت الأصل، ولو كان لا يرى لقال: «لا تراه الأبصار»، فنفي الأخص يقتضي وجود الأعم؛ ولهذا كانت هذه الآية التي يستدل بها أهل التعطيل على نفي رؤية الله دليلًا عليهم لا دليلًا لهم[1].

٢٩٨ - رفع الصوت

رفع الصوت في غير محله محرم؛ لقوله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٩]، فإن هذا التشبيه يقتضي التنفير منه، وقد قال النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ليس لنا مثل السوء**»[2].

٢٩٩ - توبة الكاتمين للعلم

توبة الكاتمين للعلم لا تكون إلا بالبيان، والإصلاح؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة:١٦٠]، **ولها ثلاثة شروط:**

الأول: التوبة، وهي الرجوع عما حصل من الكتمان.

الثاني: الإصلاح لما فسد بكتمانهم؛ لأن كتمانهم الحق حصل به فساد.

الثالث: بيان الحق غاية البيان.

وبهذا تبدل سيئاتهم حسنات[3].

---

(١) سورة الروم، الآية رقم ٣٨، ص٢٣٠.
(٢) سورة لقمان، الآية رقم ١٩، ص١١٧.
(٣) سورة البقرة، الآية رقم ١٦٠، ٢/ ١٩٨.

٣٠٠- المرأة لا تزوج نفسها

قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور:٣٢]، ﴿الْأَيَامَىٰ﴾ جمع أيم، وهي التي ليس لها زوج، سواء كانت ثيبًا مات عنها زوجها أو طلقها، أو كانت بكرًا فإنها تسمى أيمًا، وقد أمر الله تعالى بإنكاحهن، وهو دليل على أن المرأة لا تزوج نفسها؛ لأن قوله: ﴿وَأَنكِحُوا﴾ بمعنى زوجوا، فلو كانت المرأة تزوج نفسها لم نحتج لأن نقول لغيرها: زوجها؛ لأنها هي تزوج نفسها، وهذا أحد الأدلة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ [البقرة:٢٣٢][1].

٣٠١- الانقياد لشرع الله عَزَّوَجَلَّ

في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور:٥١]، الإنسان الذي ينقاد لحكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بهذه السهولة وبهذه المطابقة هو الذي يستريح، ولا يحصل عنده قلق؛ لأن من عوَّد نفسه التردد في قبول الأحكام الشرعية ولو في حكم واحد، فإن النفس تجبره على أن يتردد في كثير من الأمور الشرعية، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام:١١٠][2].

---

(١) سورة النور، الآية رقم ٣٢، ص٢٠٠، ٢٠١.
(٢) سورة النور، الآية رقم ٥١، ص٣٣٤.

٣٠٢- الدنيا كلها محنة

في قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل:٤٧] بيان أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حكيم يفتن الإنسان، ويختبره بأنواع المفاتن، تارةً بالمصائب، وتارة بالنعم، وتارة بالأمور التي توجب الاشتباه ليمتحنه بذلك؛ ولهذا الدنيا كلها محنة، ما دام الإنسان دائرًا بين أمرين: إما شر وإما خير، وكل حياتك هكذا شر أو خير، وكلاهما يقول الله فيه: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥](١).

٣٠٣- مكر الله عَزَّوَجَلَّ بالماكرين

في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل:٥٠] وصف الله تعالى بالمكر، لكنه ليس على سبيل الإطلاق، بل على سبيل التقييد، فيقال مثلًا: هو ماكر بأعدائه، أو بمن يستحق المكر، أو ما أشبه ذلك مما يجعل المكر صفة كمال؛ لأن المكر ليس بصفة كمال على الإطلاق، ولا بصفة نقص على الإطلاق(٢).

٣٠٤- التفكر في أحوال الأمم

ينبغي توبيخ من غفلوا عن السير في الأرض سواء بأبدانهم أو بقلوبهم، لأن الاستفهام في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ

(١) سورة النمل، الآية رقم ٤٧، ص٢٧٠.
(٢) سورة النمل، الآية رقم ٥٠، ص٢٩٦.

مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [الروم:٩] للتوبيخ، ويتفرع على ذلك الحث على السير في الأرض، ومن السير في الأرض بالقلوب مراجعة كتب التاريخ والأمم؛ لأن من راجعها لاسيما التواريخ الحريصة على الضبط والموثوقة، من راجعها يتبين له العجب العجاب في خلق الله عَزَّوَجَلَّ ومداولته الأيام بين الناس، وتغييره للأمور، وتزيد الإنسان إيمانًا بالله، لكن إن كانت هذه الحوادث من السيرة النبوية وسير الخلفاء الراشدين ازداد بها مع الإيمان بالله أن يصطبغ بصبغتها، ويحتذي حذوها في السير، وإن كانت من الأمور العامة العابرة فإنه يستدل بها على قدرة الله عَزَّوَجَلَّ وكمال سلطانه وتغيير الأمور [1].

٣٠٥-وقت صلاة العشاء

في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ [الإسراء:٧٨]، ثم قال: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ [الإسراء:٧٨]، ففصله، والمراد به صلاة الصبح، وفصله عما قبله يدل على أن وقت العشاء ينتهي بنصف الليل، وهذا هو الذي دلت عليه السنة أيضًا، ومن قال: إنه ينتهي بطلوع الفجر فلا دليل له، وهذه المسألة ينبني عليها ما لو طهرت المرأة في نصف الليل الثاني هل يلزمها صلاة العشاء؟ فعلى قول من يقول: إن وقت العشاء يمتد إلى طلوع الفجر يلزمها العشاء، وكذلك

(١) سورة الروم، الآية رقم ٩، ص٥٦، ٥٧.

المغرب أيضًا، وعلى القول الراجح لا تلزمها صلاة العشاء؛ لأن صلاة العشاء إلى منتصف الليل[1].

٣٠٦- هل الموتى يسمعون؟

قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الروم:٥٢]، يعني: لا تُسمِعهم سماعًا ينتفعون به، أو لا تُسمِعهم حين الدعوة، والأقرب الأول؛ لأنه ليس من المعقول أنَّ أحدًا يَقِف على الأموات، ويقول: يأيُّها الناس اعبُدوا الله واتَّقوه، هذا ليس بمعقول، لكنْ لو فُرِض أنَّه دعا فهل يسمعون سماعًا ينتفعون به؟

الجواب: لا، لا يسمعون سماعًا ينتفعون به.

فإذا قال قائل: هذا تقييدٌ للآية، الآية مُطْلقة ﴿لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، فكيف ساغ لكم أنْ تُقَيِّدوها بقولكم: سماعًا ينتفعون به؟

قلنا: إنَّ نَفْي السماع يُطلق على نَفْي السماع النافع؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال:٢١]، هم يسمعون بآذانهم لكنْ لا يسمعون سماعًا ينتفعون به، ولا نحمله على الإطلاق؛ لأن سماع الموتى قد وَرَدَت به الآثارُ؛ فإنَّ رسول الله ﷺ ثَبَتَ عنه أنَّه وَقَفَ على أصحاب قَلِيب بدرٍ من المشركين، وجعل يدعوهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «**يَا فُلَانَ ابْنَ فُلَانَ، يَا فُلَانَ ابْنَ فُلَانَ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا؟**»،

---

(١) سورة الروم، الآية رقم ١٧، ص٩٣.

فقال عمر: يا رسول الله، ما تُخاطب من قومٍ قد جيَّفوا، يعني: كيف تُخاطب الجِيَف، موتى، فقال: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ»، يعني: هم يسمعون أشدَّ من سماعكم، فإذَنْ ثَبَتَ أنَّ الموتى يسمعون، وكذلك صحَّح ابنُ عبد البَرِّ حديثًا وَرَدَ عن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنَّه: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَى مَيِّتٍ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا إِلَّا رَدَّ الله عَلَيْهِ رُوحَهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ»، وهذا ذكره ابنُ القيم في «كتاب الروح»، وذكر تصحيح ابن عبد البر له ولم يتعقَّبْه، وعلى هذا فهُم يسمعون، لكنَّهم لا ينتفعون بهذا السماع[1].

٣٠٧- كلام الله تعالى بصوت مسموع

في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص:٣٠]، إثبات كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأن المنادي في قوله: ﴿نُودِىَ﴾، هو الله؛ لقوله تعالى في آية أخرى: ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات:١٦].

وأن كلام الله تعالى بالقول؛ لقوله: ﴿نُودِىَ﴾، والنداء يكون بصوت للبعيد، والمناجاة بصوت للقريب.

وفيها الرد على الأشاعرة الذين يقولون: إن كلام الله هو المعنى القائم بنفسه، ولا شك أن المعنى القائم بالنفس لا يسمى كلامًا، ولا يسمع، وكلام الله تعالى يسمع[2].

---

(١) سورة الروم، الآية رقم ٥٢، ص٣٢٨، ٣٢٩.
(٢) سورة القصص، الآية رقم ٣٠، ص١٤٦.

٣٠٨- من فوائد الإيمان والعمل الصالح

الإيمانُ والعمَلُ الصَّالحُ سَبَبٌ لتمكينِ الدِّينِ في الأرضِ، وأنَّ المُخالفةَ سَبَبٌ لِنَزعِ الدِّينِ مِن الأرضِ؛ لِقَولِه تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور:٥٥]، فيُفهَمُ منه أنَّهم لو فَسَقُوا ولم يُؤمِنوا ولم يعمَلوا صالحًا، ما مُكِّنَ لهم الدِّينُ الذي هو لهم، والذي ارتضاه اللهُ تعالى لهم، ويتفرَّعُ على هذا: التحذيرُ البالغُ مِن المخالفةِ والفُسوقِ، وأنَّ ذلك سببٌ لنَزْعِ الدِّينِ منهم، وهذا هو المُطَّرِدُ في سُنَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فإنَّ النِّعَمَ إذا لم تُشْكَرْ زالت، وأكبرُ نعمةٍ أنعَمَ اللهُ بها على عبادِه هي نِعمةُ الدِّينِ، فإذا لم تُشْكَرْ فإنَّها تَزولُ كغَيرِها مِن النِّعَمِ، وأن الإيمان والعمل الصالح سبب لاستمرار الأمن ولزوال الخوف، إذا كان هناك أمن سابق فهو يستمر، ولزوال الخوف فإذا كان هناك خوف فإنه يزول، لقوله: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[1].

٣٠٩- من أسباب البعد عن المعاصي

الخوف من الله هو أقوى الأسباب الرادعة عن معصيته؛ لقوله تعالى: ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:٢٨]، ولا شك في هذا أن الخوف من الله هو أقوى الأسباب الرادعة عن المخالفة، كما أن الرجاء هو أقوى الأسباب الموجبة للطاعة والرغبة فيما عند الله[2].

(١) سورة النور، الآية رقم ٥٥، ص٣٦٦، ٣٦٧.
(٢) سورة المائدة، الآية رقم ٢٨، ١/ ٢٩٥.

٣١٠ - من فضائل اتباع مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ

كلما اتبع الإنسان ما يرضي الله ازداد معرفة بشريعة الله؛ لقوله تعالى: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [المائدة:١٦]، واذكرها بالعكس من أعرض عن رضوان الله فإنه لا يهدى سبل الله؛ لأنه ليس أهلًا للهداية، وعلى هذا فنقول لكل طالب علم: أتريد أن يهديك الله ويرزقك علمًا؟ سيقول: بلى، نقول: عليك باتباع رضوان الله، كلما رأيت شيئًا يرضي الله فافعله، وكلما رأيت شيئًا يغضب الله فاجتنبه[١].

٣١١ - العدل مع الخصم

الواجب على الإنسان أن يشهد بالقسط ـ أي: بالعدل ـ ولو كان المشهود عليه قريبك، أباك أو أخاك لقوله تعالى في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[النساء:١٣٥]، ولا تعد شهادة الإنسان على أبيه وأمه عقوقًا بل هي بر، لأنك إذا شهدت عليهما منعتهما من الظلم وقد جعل النبي ﷺ منع الظالم من ظلمه نصرًا للظالم، فقال: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»، قالوا: يا رسول الله، هذا المظلوم فكيف نصر الظالم؟ فقال: «تمنعه من ظلمه».

وجوب الشهادة بالقسط ولو كنت كارهًا، لأن بعض الناس قد يحمله كراهة أن يتضرر الشخص على كتمان الشهادة فتجده مع نفسه في صراع: هل يشهد أو لا

---

(١) سورة المائدة، الآية رقم ١٦، ١/ ٢١٥.

يشهد؟ فالواجب ألا يحملك قرب قريب أو بغض بعيد على ألا تشهد بالعدل، اشهد بالعدل لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ [المائدة:٨][١].

٣١٢ - التحليل والتحريم

في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ [المائدة:٤] إثبات أن الإحلال والتحريم ليس إلى العباد، بل هو إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وقد حذرنا الله عَزَّوَجَلَّ من أن نحلل أو نحرم بأهوائنا فقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [النحل:١١٦][٢].

٣١٣ - الفساد في الأرض

الفساد في الأرض مبيح لقتل النفس؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَـٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة:٣٣]، ومن ذلك: قطع الطريق، يعني: هؤلاء الذين يعرضون للناس بالسلاح في الطرقات، فيغصبونهم المال، وربما يقتلونهم، هؤلاء مفسدون في الأرض، وكذلك من المفسدين في الأرض في وقتنا الحاضر هؤلاء الذين يأتون بالمخدرات، ويجلبونها إلى البلاد الإسلامية، هم مفسدون في الأرض لا شك، فإن قالوا: نحن لم نجبر الناس على أن يشتروا، قلنا: لكن وضعتم الأمر أمامهم، فأنتم مروجون وجالبون، ولن يندفع شركم إلا بالقتل، فكل إنسان لا يندفع شره إلا بالقتل من هؤلاء المفسدين فإنه يقتل[٣].

---

(١) سورة المائدة، الآية رقم ٨، ١/ ١٤٧، ١٤٨.
(٢) سورة المائدة، الآية رقم ٤، ١/ ٥٩.
(٣) سورة المائدة، الآية رقم ٣٢، ١/ ٣١٥.

٣١٤- لا تغترَّ بالنعم

ينبغي أن يحذر الإنسان عقوبة الله عَزَّوَجَلَّ إذا مضى الله عليه بتيسير أمور الدنيا من مأكل ومشرب ونكاح ومركب ومسكن، فلا يغتر بهذا؛ لأنه قد يكون استدراجًا؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الأنعام:٤٤]؛ ولهذا رُوي «**إذا رأيت الله** عَزَّوَجَلَّ **يعطي العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك منه استدراج**»، وصدقوا، فلا تغتر أيها الإنسان فقد تبتلى بالنعم كما تبتلى بالنقم، وقد تكون البلوى بالنعم أشد من البلوى بالنقم(١).

٣١٥- الأصل في العبادات المنع والحظر

الشرائع توقيفية، فلا يجوز لأحد أن يبتدع منها شيئًا لقوله تعالى: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ [الأنعام:٥٠].

ولهذا قرر أهل العلم أن الأصل في العبادات المنع والحظر، وأنه لا يجوز للإنسان أن يتعبد لله تعالى بشيء إلا ما أذن الله فيه شرعا، وهذا حق مستند إلى آيات متعددة، وإلى قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(٢).

---

(١) سورة الأنعام، الآية رقم ٤٤، ص٢٢٦.
(٢) سورة الأنعام، الآية رقم ٥٠، ص٢٥٣.

٣١٦- التوكل لا ينافي فعل الأسباب

قال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النمل:٧٩]، التوكل هو الاعتماد على الله مع الثقة، فلابد من اعتماد وثقة، وبهما يكون التوكل، فقد تعتمد على غير الله مثلًا لكن لا تثق به، وقد تعتمد على إنسان في أن يشتري لك شيئًا، ولكنك مع هذا لا تثق به، وقد تثق بالإنسان في أمانته، ولكنك لا تعتمد عليه لضعفه، والأول إما لضعفه أو خيانته، أما الله عَزَّوَجَلَّ فيجب عليك أن تعتمد عليه واثقًا به، ولا يمكن تحقيق التوكل إلا بهذا.

إذن التوكل على الله هو الاعتماد عليه مع الثقة به، فلابد من الأمرين، من اعتماد وثقة، والأمر بالتوكل لا ينافي فعل الأسباب الصحيحة التي تؤثر في المسببات، فإن الرسول ﷺ بلا شك كان سيد المتوكلين، ومع ذلك كان يفعل الأسباب التي تحصل بها المنافع وتندفع بها المضار، كأن يأكل ويشرب ويلبس، وكان أيضًا يتخذ ما يقي من الضرر، حتى أنه في أُحد ظاهر بين درعيه، يعني: لبس درعيه، كل ذلك تقوية للأسباب التي تندفع بها الأضرار[1].

٣١٧- من عذاب أهل النار

في قوله تعالى: ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ [النمل:٩٠]، بيان شدة العقوبة ـ والعياذ بالله ـ لهؤلاء، حيث يكبون على وجوههم في النار، والوجه أشرف الأعضاء، وإهانته أعظم من إهانة غيره، فلو أن أحدًا صفعك على خدك أو ضربك في رجلك أيهما أشد إهانة؟

---

(١) سورة النمل، الآية رقم ٧٩، ص٤٣٦، ٤٣٧.

الوجه أشد؛ ولهذا كان إكبابهم على وجوههم في النار ـ والعياذ بالله ـ أشد وأبلغ في الإهانة وفي العذاب[1].

٣١٨- صنف من القواعد من النساء

في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور:٦٠]، ثم قال: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ [النور:٦٠]، يقاس على القواعد من لا تشتهى لغاية في قبحها كالعجائز؛ لأنها لا ترجو النكاح، ولا يطمع أحد فيها؛ ولهذا ألحق العلماء هذا الصنف من النساء بالقواعد.

لو قال قائل: المرأة العجوز ليس فيها شهوة وهذه الشابة القبيحة فيها شهوة لماذا تلحق بها؟

الجواب: لم يقل الله تعالى: والقواعد من النساء اللاتي ليس فيه نكاح، بل قال تعالى: ﴿ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ يعني: يئسن من النكاح؛ لأنهن علمن أن النَّاس لا يرغبون فيهن، ولو قال: «والقواعد من النساء اللاتي لا نكاح فيهن أو لا شهوة فيهن» لقلنا: صحيح، لا يجوز تعدية الحكم إلى القبيحة الشَّوهاء، لكن قال: ﴿لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ يعني: لا يأملن نكاحًا لا لمجرد أنَّه لا شهوة فيهنَّ، ولكن لأن الناس لا يرغبونهنَّ[2].

٣١٩- بر الوالدين الكافرين

إن فسوق الوالدين وكفرهما لا يسقط حقهما من البر، يؤخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان:١٥]، فإنه أمر بمصاحبتهما معروفًا مع أنهما كافرين ويأمران بالكفر[3].

---

(١) سورة النمل، الآية رقم ٩٠، ص٥١٦.
(٢) سورة النور، الآية رقم ٦٠، ص٤٠٠، ٤٠١.
(٣) سورة لقمان، الآية رقم ١٥، ص٩٧.

٣٢٠- من آداب المحادثة

ينبغي للإنسان عند محادثة غيره أن يكون مقبلًا إليه بوجهه؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان:١٨]؛ لأن النهي عن تصعير الخد يدل على الأمر بضده، وهو أن يكون مقبلًا إليه بوجهه[١].

٣٢١- الشكر يكون باللسان والقلب والجوارح

قال تعالى: ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم:٤٦]، الشكر هو القيام بطاعة المنعم، ويكون باللسان وبالقلب وبالجوارح، فأما الشكر بالقلب فأن يؤمن الإنسان بأن هذه النعمة من الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي أمده بها، وهو الذي يسرها له، وهو الذي جلبها إليه هذا بالقلب، والشكر باللسان أن يحمد الله عليها، فإن هذا من شكر النعمة، وأن يتحدث بها اعترافًا لله بالفضل افتخارًا بها على غيره، وأما الشكر بالجوارح فأن يقوم لله تعالى بالعمل البدني من صلاة وزكاة وحج وغيره[٢].

٣٢٢- قصُّ الأخبار لا يعتبر شكاية

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٢٥]، قص الأخبار لا يعتبر شكاية، فلو قصصت على إنسان ما جرى عليك من المصائب، فلا يعتبر ذلك من الشكاية إليه؛ ولهذا يقال: هذا إخبار، فالمريض يقول مثلًا لمن سأله عن حاله: إني مريض، فهذا إخبار، لا شكوى،

---

(١) سورة لقمان، الآية رقم ١٨، ص١١٢.

(٢) سورة الروم، الآية رقم ٤٦، ص٢٩٢، ٢٩٣.

والفرق بينهما أن الشكوى تتضمن طلب إزالة الشيء، والتضجر منه، وأما الخبر فإنه مجرد عن ذلك، فهو مجرد إخبار عن أمر وقع[(١)].

٣٢٣- صحة التوبة وكمالها

قال تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان:٧١]، أي: متابًا تامًّا، فالمصدر هنا لتعظيم هذه التوبة، أي متابًا عظيمًا، لكمال هذه التوبة، وإلا لو قال قائل: هذا تحصيل حاصل، من تاب فإنه يكون تائبًا؟ نقول: لا، المقصود أن توبته هذه توبة كاملة عظيمة فالإتيان بالمصدر: ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ ، للدلالة على أن هذه التوبة وقعت موقعها وأنها كاملة، وهذا حق، فإن الرجل إذا تاب وازداد عملًا صالحًا تبين بذلك صحة توبته وكمالها[(٢)].

٣٢٤- عقوبة قطاع الطريق

إن قطاع الطريق يجمع لهم بين العقوبة في الدنيا والآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣]، مع أنه ثبت عن النبي ﷺ: أن من أصيب بشيء من القاذورات، يعني: القبائح، وحد عليها فإن الحد يكون كفارة لذلك الذنب، لكن لعظم جرم هؤلاء لم يكن الحد كفارة لهم، بل كان: ﴿لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣][(٣)].

---

(١) سورة القصص، الآية رقم ٢٥، ص١٠٣.

(٢) سورة الفرقان، الآية رقم ٧١، ص٣٠٨، ٣٠٩.

(٣) سورة المائدة، الآية رقم ٣٣، ١/ ٣٢٧.

٣٢٥- من فوائد الاستغفار

الاستغفار سبب لجلب الرحمة، وهو أمر فوق دفع العقوبة؛ لقوله تعالى: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل:٤٦]، وقد قال نوح لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح:١٠-١٢]، وهذه رحمة من الله عَزَّوَجَلَّ نتيجة الاستغفار.

إذًا فالاستغفار سبب لاندفاع النقم وجلب النعم، والاستغفار هو طلب المغفرة، والمغفرة ستر للذنب مع التجاوز، وطبعًا طالب المغفرة يستلزم طلبه للمغفرة إذا كان حقيقة أن يقلع عن الذنب؛ لأنه كيف يقول: أستغفر الله من الربا وهو يقع في الربا، لا يصلح هذا، فطالب الشيء لا بد أن يسعى بأسبابه، إذا قلت: اللهم ارزقني ولدًا صالحًا وقلت: لن أتزوج، إذا كان الله مقدرًا لي ولدًا صالحًا سيأتي، فهذا لا يصلح، فلا ينفع أن تستغفر الله وأنت لم تفعل أسباب المغفرة، فلا بد من فعل أسباب المغفرة بالإقلاع عن المعصية ثم طلب أن يغفر الله لك(١).

٣٢٦- العقوبة تعم

العقوبة تعم؛ لقوله تعالى: ﴿أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل:٥١]، ولكن كما قال رسول الله ﷺ: «**يبعث الناس على أعمالهم**»، فالعقوبة قد تعم، ولكن يبعث الناس على أعمالهم، وهذا مشاهد، سواء كانت العقوبة من الله، يعني من فعل الله، أو من فعل العباد، فيسلط الله تعالى بعض عباده على بعض، فيدمر هذا المتسلط على الصالح والطالح، ولكن يبعث الناس يوم القيامة على أعمالهم

(١) سورة النمل، الآية رقم ٤٦، ص ٢٦٠، ٢٦١.

ونباتهم، أو ينزل الله تعالى كارثة من عنده كالفيضانات والرياح وغيرها فتدمر الصالح والطالح، ويوم القيامة يبعثون على نباتهم[1].

٣٢٧- الداعي إلى الله عز وجل

الداعي إلى الله إذا بذل ما يجب عليه فلا ينبغي أن يحزن لمخالفة الناس؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [النمل:٧٠]، والحكمة من ذلك: أن حزن الإنسان على مخالفة الناس يعيقه عن الدعوة إلى الله، ويستحسر من أجلهم؛ لأنه لا يمكن للنفس أن تمتد وتسير وهي حزينة، ولكن أنت سر على حسب ما أمرت، إن اهتدى الناس فلك ولهم، وإن لم يهتدوا فلك وعليهم؛ ولهذا إذا حزن الإنسان في هذه الأمور فإنه ييأس ويستحسر؛ ولا ينشرح صدره؛ ولا تنبسط نفسه[2].

٣٢٨- التوبة من أسباب رفع العقوبة

الناس لا يعاقبون إلا بأسباب أفعالهم؛ لقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:٤١]، فيتفرع عن ذلك أن من أراد أن ترفع عنه العقوبة فليتب إلى الله، فإن التوبة من أسباب رفع العقوبة وجلب المثوبة؛ ولهذا قال هود لقومه: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [هود:٣]، ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود:٥٢]، وقال نوح لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح:١٠-١٢][3].

---

(١) سورة النمل، الآية رقم ٥١، ص٣٠١.
(٢) سورة النمل، الآية رقم ٧٠، ص٤١٢.
(٣) سورة الروم، الآية رقم ٤١، ص٢٥٨.

٣٢٩- الحكم بغير ما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ

في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ [الروم:٤٣] تحريم الحكم بغير ما أنزل الله؛ لأنه مخالف للاتجاه إلى الدين القيم، والحكم بغير ما أنزل الله منه ما يكون كفرًا، ومنه ما يكون فسقًا، ومنه ما يكون ظلمًا، كما ذكر الله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، وفي الآية الثانية﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥]، وفي الآية الثالثة﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧]، وهذه الأوصاف تتنزل على حال الحاكم فقد يكون كافرًا أو ظالمًا أو فاسقًا[١].

٣٣٠- رحمة الله عَزَّوَجَلَّ في الخلق

من رحمة الله تعالى بالخلق أنه تعالى أرسل الرسل إليهم؛ لئلا تقوم الحجة على الله؛ لقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة:١٩]، ومن لم تبلغه الرسالة فإنه معذور، وهو ظاهر لقوله: ﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾[٢].

٣٣١- التفاوت بين العمل الواحد

قد يشترك الرجلان في عمل، ويكون بينهما من الفرق كما بين السماء والأرض، إما في رد عمل الثاني، وإما في زيادة ثواب الأول، وإن لم يحرم الثاني من الثواب؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ﴾ [المائدة:٢٧]، وفي هذه القصة أن الثاني حرم من الثواب، فقد

---

(١) سورة الروم، الآية رقم ٤٣، ص ٢٧٠.

(٢) سورة المائدة، الآية رقم ١٩، ١/ ٢٥١.

يعمل الرجلان عملًا واحدًا فيما يظهر، ولكن يكون بينهما في الثواب والقبول كما بين السماء والأرض[1].

٣٣٢- الشعر

في قوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٤-٢٢٧]، يشير إلى أن الشاعر يقل ذكره لله، فما امتلأ قلبه من الشعر إلا بعد عنه ذكر الله[2].

٣٣٣- علاقة الإيمان بالقرآن

يستفاد من قوله تعالى: ﴿طس ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (١) هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢)﴾ [النمل:٢] أنه كلما كمل الإيمان في العبد كمل اهتداؤه بالقرآن؛ لأن الشيء إذا علق بوصف زاد بزيادة ذلك الوصف، ونقص بنقصه، فالحكم إذا علق بوصف فإن هذا الوصف يزيد الحكم بزيادته، وينقص بنقصانه، وهذا معلوم حتى في المحسوس، تجد أن الشيء المعلق بشيء يزيد بزيادته، وينقص بنقصانه، فنقول: كلما ازداد الإنسان إيمانًا ازداد اهتداءً بالقرآن، ويدلك على هذا قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤]، ويدل أيضًا على هذا قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة:١٣][3].

---

(١) سورة المائدة، الآية رقم ٢٧، ١/ ٢٩١.
(٢) سورة الشعراء، الآية رقم ٢٢٤-٢٢٧، ص٣١٣.
(٣) سورة النمل، الآية رقم ٢، ص١٧، ١٨.

٣٣٤- المشاورة

يستحب المشاورة في الأمور العامة؛ لقول بلقيس لما أرسل إليها سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ برسالة يدعوها فيها إلى الإيمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل:٣٢]، فهي مع أنها ملكة ولها تمام السلطة مع ذلك لم تستغن عن المشاورة، وأنه يجوز للمستشير أن يخالف المستشار إذا لم ير أنه مصيب في مشورته؛ لأنهم لما ذكروا ما يدل على أنهم يريدون قتاله وهي لا تراه خالفتهم، فإنها قالت: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٣٤][١].

٣٣٥- الحياة الحقيقية

في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ﴾ [العنكبوت:٦٤] بيان أن الحياة الحقيقية حياة الآخرة؛ لأن حياة الدنيا في الحقيقة ليست حياة؛ ولذلك يقول الكافر يوم القيامة: ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر:٢٤]، **فالحياة الدنيا ليست حياة:**

أولًا: لأنها منغصة فكل صفوها كدر.

وثانيًا: أنها غير باقية.

وثالثًا: أن الإنسان مهدد فيها فلا يدري متى يجيئه أجله صباحًا أو مساء، وكم من إنسان خرج من أهله، ولم ترجع إلا جثته، وكم من إنسان على كرسيه فجاءه الموت فلم يكمل الكتاب الذي يخطه بيمينه[٢].

---

(١) سورة النمل، الآية رقم ٣٢، ص١٨١-١٨٦.
(٢) سورة العنكبوت، الآية رقم ٦٤، ص٣٩٢، ٣٩٣.

٣٣٦- العالم ليس قديمًا لا أول له

في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الروم:١١] ثبوت حدوث العالم، وأنه ليس قديمًا لا أول له كما زعمت الفلاسفة، بل إن الله ابتدأه، والمبتدأ معناه كان بالأول عدمًا[١].

٣٣٧- من مقاصد الزواج

من أهم أغراض النكاح ومقاصده السكون إلى الزوجة، والاطمئنان إليها والحياة معها حياة سعيدة، فالحكمة من الزوجية هي السكون، أي سكون أحد الزوجين إلى الآخر، ويتفرع على ذلك أنه لو حصل التنافر فإن من الحكمة التفريق بينهما؛ لقوله تعالى: ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الروم:٢١]، فإذا فاتت هذه الحكمة فإنه لا زواج؛ ولهذا لما فاتت الحكمة بين ثابت بن قيس وزوجته قال الرسول ﷺ «**خذ الحديقة وطلقها**»، وكيف يمكن أن تستمر الزوجية بين زوجين يتباغضان ويتنافران، وكل واحدٍ منهما يحب أن يرى الموت ولا يرى صاحبه؟ فالإنسان إذا رأى عدم السكون ولم تلتئم الحال ينبغي له أن يفارق؛ ولهذا قال أهل العلم: إن الطلاق يستحب لتضرر المرأة بالبقاء مع الزوج، فلو كانت تتضرر ولا تستأنس مع الزوج ما ينبغي أن يكرهها أن تبقى معه، فإن بعض الناس والعياذ بالله يكرهوهن على البقاء، أو يعضلونهن لأجل أن يفتدين، ويسلمن مبالغ من المال من أجل أن يطلقها، كل ذلك حرام، والذي ينبغي إذا رأيت من الزوجة أنها لا تستطيع أن تعيش معك عيشة سعيدة ينبغي لك أن تطلقها[٢].

---

(١) سورة الروم، الآية رقم ١١، ص٧٠.

(٢) سورة الروم، الآية رقم ٢١، ص١١٢، ١١٣.

٣٣٨ - يعرف الرجال بالحق، لا الحق بالرجال

في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [الفرقان:٦٠] أنه لا يجوز للإنسان أن يقيس الحق بقائله، وإنما يعرف الحق بالحق، لا بالقائل؛ لأن بعض الناس إذا قلنا مثلًا: هذا قاله فلان، قال: من فلان بالنسبة لفلان؟ فيريدون أن يعرفوا الحق بالرجال، والواجب ـ كما قال النووي وغيره ـ أن يعرف الرجال بالحق[1].

٣٣٩ - الإيمان والتقوى

الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ مستلزم لتقواه؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة:٨٨]، أي: فلإيمانكم يلزمكم التقوى، فالإيمان الحقيقي مستلزم للتقوى، فمن قال: إنه مؤمن، ولكن لم يتق الله، فهو إما فاقد للإيمان بالكلية، وإما ناقص الإيمان[2].

٣٤٠ - طعام اليهود والنصارى

إذا أتتنا ذبيحة من يهودي أو نصراني، ونحن لا ندري أذكر اسم الله عليها أم لا، أخنقها ثم قطع رقبتها أم لا؟ فالأصل الحل؛ لقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة:٥]، ولما ثبت في صحيح البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن قومًا أتوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إن قومًا يأتوننا باللحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا؟ قال: «**سموا أنتم وكلوا**»[3].

---

(١) سورة الفرقان، الآية رقم ٦٠، ص٢٥٨.

(٢) سورة المائدة، الآية رقم ٨٨، ٢/ ٣٠٧.

(٣) سورة المائدة، الآية رقم ٥، ١/ ٧٤.

٣٤١- غسل الوجه عند الوضوء لا المسح

يجب غسل الوجه عند الوضوء؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة:٦]، ويتفرع على ذلك: أنه لو مسح وجهه مسحًا لم يصح وضوؤه لقوله: ﴿فَاغْسِلُوا﴾[١].

٣٤٢- المعاصي سبب لقسوة القلب

كلما عصى الإنسان ربه قسا قلبه؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة:١٣]، عكس ذلك أن نقول: كلما أطاع الإنسان ربه لان قلبه، وما أكثر الذين يطلبون أن تلين قلوبهم، ويسألون: ما الدواء لقسوة القلب؟ نقول: الدواء لقسوة القلب كثرة طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ [٢].

٣٤٣- من صور الإحسان

إن عدم المؤاخذة على الذنب من الإحسان؛ لقوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:١٣]، فدل هذا على أن عدم المؤاخذة على الذنب يعتبر إحسانًا، وكثير من الناس لا يفهم من الإحسان إلا الشيء الإيجابي، يعني الإعطاء، والصدقة، والهدية، والتبرع، وليس كذلك[٣].

---

(١) سورة المائدة، الآية رقم ٦، ١/ ١٠٧.
(٢) سورة المائدة، الآية رقم ١٣، ١/ ١٩٧.
(٣) سورة المائدة، الآية رقم ١٣، ١/ ١٩٩، ٢٠٠.

٣٤٤- رحمة الله عَزَّوَجَلَّ

في إضافة الاستواء إلى الرحمن في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾ [الفرقان:٥٩] إشارة إلى أنه تعالى مع علوه على جميع مخلوقاته فإن رحمته شاملة لجميع الخلق، وليس كعلو غيره ممن إذا علا تجبر وتكبر، وأخذ بالعنف والغلظة (١).

٣٤٥- قبول الحق مهما كان مصدره

في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾ [الفرقان:٧٣]، لم يبين المذكّر، ليشمل كل مذكّر، وليبين أن قبولهم للتذكير ليس من أجل شخص المذكّر؛ لأن من الناس من لا يقبل الحق إلا من شخص معين، وإذا جاءه من شخص آخر لم يقبله، مثلما فعل أهل الكتاب وغيرهم بالنبي ﷺ فلا يقبلون الحق إلا من طائفة معينة، أو شخص معين (٢).

٣٤٦- الأدب مع المعلم

في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ [الكهف:٦٦]، دليل على أن طالب العلم ينبغي عليه أن يتلطف مع شيخه ومع أستاذه، وأن يعامله بالإكرام (٣).

---

(١) سورة الفرقان، الآية رقم ٥٩، ص٢٤٧.
(٢) سورة الفرقان، الآية رقم ٧٣، ص٣٢١.
(٣) سورة الكهف، الآية رقم ٦٦، ص١١٣.

٣٤٧- احتشم تُحْتَشَم

في قوله تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص:٢٥]، يستفاد بيان الوقار الذي جعله الله لموسى، حيث جاءت إليه على استحياء تعظيمًا له؛ لأنه كلما كان الإنسان أشد وقارًا، كان الحياء منه أكثر؛ ولذلك الرجل الذي ليس بوقور تجد الناس لا يستحيون منه، ولا يبالون به، فيتفوهون عنده بالكلام الذي لا يليق، ويفعلون عنده ما لا يليق؛ لأنه ليس وقورًا، ولهذا يقال: احْتَشِم تُحْتَشَم[١].

٣٤٨- أقل مدة الحمل

أقل الحمل ستة أشهر، يستفاد من قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان:١٤]، وقد قال تعالى في سورة الأحقاف: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف:١٥]، فإذا أسقطت عامين من ثلاثين شهرًا بقي ستة أشهر.

وذكر ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ في «المعارف»: أن عبد الملك بن مروان ولد لستة أشهر، وهو الخليفة المحنك كما هو معروف، ويقول الخبراء في هذه الأمور: إنه إذا ولد لستة أشهر يمكن أن يعيش لكن لسبعة أشهر قد لا يعيش، وهذه حكمة لا نعلم عنها شيئًا[٢].

٣٤٩- الله عَزَّوَجَلَّ أرحم بالولد من والديه

في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ [لقمان:١٤]بيان أنه سبحانه أرحم بالوالدين من أولادهما؛ لأن الله تعالى أوصى الأولاد بالوالدين، إذن فهو أرحم بالوالدين من الأولاد، كما قلنا في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ

(١) سورة القصص، الآية رقم ٢٥، ص١٠١.
(٢) سورة لقمان، الآية رقم ١٤، ص٨٩.

﴿مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١]، ففي الآية دليل على أن الله تعالى أرحم بالولد من والديه[1].

٣٥٠ - الانتفاع بآيات الله عَزَّوَجَلَّ

كلما كمل إيمان العبد ازداد انتفاعًا بالآيات؛ لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [العنكبوت:٤٤]، فكلما كان الإنسان أقوى إيمانًا ظهر له من آيات الله في هذه المخلوقات ما لم يظهر لمن هو دونه[2].

٣٥١ - موالاة المؤمنين

في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:١١٤]، دليل على أنه ينبغي للإنسان أن يقرب منه كل مؤمن، وأن يختار لنفسه أصلح الأصحاب، كما جاء في السنة في الحث عليه، فلهذا ينبغي اختيار الجليس الصالح.

وفيه أيضًا دليل على أنه ينبغي موالاة المؤمنين، والقرب منهم، وأن هذا دأب الأنبياء؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:١١٤][3].

٣٥٢ - المرأة والستر

المرأة من قديم الزمان شيمتها التستر؛ لأن قوله: ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ﴾ [النمل:٤٤] دليل على أن الأصل أنها مستورة، وهو كذلك بخلاف الرجل فإن «أزرة المسلم إلى نصف الساق»، الآن أصبح الأمر بالعكس عند كثير من المسلمين مع الأسف،

---

(١) سورة لقمان، الآية رقم ١٤، ص٨٧، ٨٨.

(٢) سورة العنكبوت، الآية رقم ٤٤، ص٢٣٢.

(٣) سورة الشعراء، الآية رقم ١١٤، ص١٩٨.

فأصبح الرجال ثيابهم مسبلة، والنساء ثيابهن قصيرة، وهذا خلاف الفطرة التي فطر الله عليها الخلق[١].

٣٥٣- خطر الإعراض عن النصوص الشرعية

الإعراض عن آيات الله خطره عظيم، ويُخشى على من أعرض عن الآيات ألا يهتدي لها؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام:٤]، ومما يدل على ذلك قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام:١١٠]، وهذا تعليل أي في قوله: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام:١١٠].

وهذه مسألة خطيرة في الواقع، يجب على طالب العلم أن يجعلها نصب عينيه، إذا كان يمشي في طريق معين، وجاءت النصوص دالة على خلافه، فإن بعض الناس قد يتلكأ، ويحاول أن يحرف النصوص التي تخالف طريقه، وهذا خطر عظيم؛ بل الواجب على المؤمن أن يستسلم للنصوص من حين أن تأتيه، كما كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يفعلون هذا، فبمجرد ما يأمر الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بشيء يفعلونه، وبمجرد ما ينهى عن شيء يتركونه، فكون الإنسان يتلكأ أول ما يأتيه الحق خطر عظيم، والآية واضحة في سورة الأنعام، قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام:١١٠]، وقال الله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٩][٢].

---

(١) سورة النمل، الآية رقم ٤٤، ص٢٤٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية رقم ٤، ص٣٥، ٣٦.

٣٥٤- العبرة بالأحسن لا الأكثر

قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف:٧]، الضمير يعود للخلق، وتأمل قوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، ولم يقل: «أكثر عملًا»؛ لأن العبرة بالأحسن لا بالأكثر، وعلى هذا لو صلى الإنسان أربع ركعات لكن على يقين ضعيف، أو على إخلال باتباع الشرع، وصلى آخر ركعتين بيقين قوي ومتابعةٍ قوية فأيهما أحسن؟ الثاني، بلا شك أحسن وأفضل؛ لأن العبرة بإحسان العمل وإتقانه إخلاصًا ومتابعة[١].

٣٥٥- التقوى وقبول الأعمال

التقوى هي سبب قبول الأعمال؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧]، وهل المراد هو تقبل الأعمال فقط، أو تقبل الأعمال والدعاء؟ الظاهر العموم؛ ولهذا من كان أتقى لله كان أقرب لإجابة دعائه وقبول عمله[٢].

٣٥٦- ماذا يجب عند الاختلاف

يجب رد الأمور المتنازع فيها إلى الله ورسوله؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء:٥٩]، وإن الرد إلى الله والرسول من مقتضيات الإيمان[٣].

---

(١) سورة الكهف، الآية رقم ٧، ص١٩.
(٢) سورة المائدة، الآية رقم ٢٧، ١/ ٢٩٢.
(٣) سورة النساء، الآية رقم ٥٩، ١/ ٤٥٦، ٤٥٧.

٣٥٧ - الذنوب والتولي عن دين الله عَزَّوَجَلَّ

الذنوب لها آثار سيئة، من أعظمها التولي عن قبول الوحي والشريعة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة:٤٩]؛ ولهذا قال بعض السلف: من حُرم قيام الليل فإنما ذلك لذنب أصابه، فإذا رأيت من نفسك إعراضًا عن شيء من دين الله، أو رأيت إعراضًا عن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، إما عن تلاوته اللفظية، أو تلاوته المعنوية، أو تلاوته العملية فإنه يجب عليك أن تعالج نفسك، واعلم أن سبب هذا الإعراض هو المعاصي، وأن هناك ذنبًا انبنى عليه هذا الإعراض [١].

٣٥٨ - حال بعض الناس بعد التوبة

الإنسان بعد التوبة ورفع الفتنة عنه قد لا يشكر هذه النعمة، ويعود إلى عماه وصممه؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة:٧١]، وهذا يشبه قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٤٣] [٢].

٣٥٩ - الطمع بمغفرة الله عَزَّوَجَلَّ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٥١]، ﴿نَطْمَعُ﴾ يعني: نرجو ونؤمل، وهذا الطمع مما يمدح عليه العبدُ، لكن إذا فعل أسبابه، أما إذا لم يفعل أسبابه فإنه من الأماني الباطلة، كما جاء في الحديث:

---

(١) سورة المائدة، الآية رقم ٤٩، ١/ ٤٨٢، ٤٨٣.

(٢) سورة المائدة، الآية رقم ٧١، ٢/ ١٩٢.

«الكيِّسُ: من دانَ نفسَهُ، وعمل لما بعدَ الموتِ، والعاجزُ من أتبَع نفسَهُ هواها، وتمنَّى على الله»(1).

٣٦٠ - السبق إلى الإيمان

السبق إلى الإيمان من أسباب المغفرة والرفعة؛ لقولهم: ﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٥١]، وقد دلَّ على ذلك الكتاب في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد:١٠]، ولما تخاصم عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد قال النبي ﷺ لخالد: «لا تسبوا أحدًا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»(2).

٣٦١ - أخوة الدين عظيمة

أخوة الدين أعظم من أخوة النسب؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران:١٠٣]، بل إن أخوة النسب تتلاشى إذا لم توجد أخوة الدين، ودليل هذا أن نوحًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود:٤٥، ٤٦]، ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ مع أنه ابنه بضعة منه، لكنه ليس من أهله: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود:٤٦] يعني أنه عمل عملًا غير صالح، فهو كافر، وأنت رسول، فليس بينكما نسب يعني قرابة، فالأخوة الإيمانية أقوى رابطة من الأخوة النسبية، فإذا اجتمعتا قوَّى بعضهما بعضًا، إذا كان أخاك من النسب وهو أيضًا أخوك في الدين صار هذا أقوى وأقوى(3).

---

(1) سورة الشعراء، الآية رقم ٥١، ص١١٣.
(2) سورة الشعراء، الآية رقم ٥١، ص١١٥.
(3) سورة آل عمران، الآية رقم ١٠٣، ١/ ٥٩٨.

٣٦٢- الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥]، لو كانت صلاتنا تنهانا نسأل الله أن يعاملنا بعفوه، يدخل الإنسان في الصلاة بقلبٍ، ويخرجُ بنفس القلب، أو أسوأ، لكن العبادات إذا لم تؤثر على قلبك حسنى فهي ضرر، فالذي لا تنفعه الآيات تضره كما قال النبي ﷺ: «القرآن حجة لك أو عليك»، وكذلك جاء عن النبي ﷺ: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدًا» (١).

٣٦٣- الرضا بالكفر كفر

إن المشارك لفاعل المنكر كفاعل المنكر؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء:١٤٠]، ونحن قلنا: المشارك، والآية لا تدل على المشارك، وإنما تدل على أن الجالس معهم له حكم الفاعل، فنقول: إذا كان الجالس يعني: القاعد معهم له حكم الفاعل فالمشارك من باب أولى.

وكذلك وجوب مغادرة المكان الذي يكفر فيه بآيات الله، ويستهزأ بها، ولا يجوز للإنسان أن يبقى، ويقول: أنا منكر بقلبي، وقد قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه**»، وأنا الآن منكر بقلبي غاية الإنكار!!

---

(١) سورة العنكبوت، الآية رقم ٤٥، ص٢٣٨، ٢٣٩.

فنقول: لو صدقت في ذلك لقمت؛ إذ إن الجوارح تبع للقلب، فلو كره القلب ذلك لكرهته الجوارح، وهذا لا يغنيك، ولا بد أن تفارق، وإلا كنت مثلهم [١].

٣٦٤ - ولا ينفع ذا الجد منك الجد

من كمال قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه لا يفوته أحد من خلقه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾ [العنكبوت:٣٩]، فمع عظمتهم وكبريائهم وأموالهم لا يسبقون الله، وهذا تحقيق قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في أذكار الصلاة: «**ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»، فإن الإنسان مهما عَظُم وكَثُر أتباعُهُ وجنُوده لا تنفعه عظمته ولا كثرتهم [٢].

٣٦٥ - معنى السيئات

في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [العنكبوت:٤]، يعني: يعملون الأعمال السيئة، والسيئ: ما يسوء فاعله، وكل عمل محرم فإنه سيئ؛ لأنه يسوء صاحبه، بما يجد فيه من العقوبة الحاضرة والمستقبلية [٣].

٣٦٦ - أهل النار عذابهم نفسيٌّ وبدنيٌّ

عذاب أهل النار ـ والعياذ بالله ـ عذاب نفسي وبدني، بدني حيث تكب وجوههم في النار، كقوله تعالى: ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ [النمل:٩٠]، نفسي حيث يوبخون ويقرعون، كقوله تعالى: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل:٩٠] [٤].

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ١٤٠، ٢/ ٣٥٢، ٣٥٣.
(٢) سورة العنكبوت، الآية رقم ٣٩، ص١٩٩.
(٣) سورة العنكبوت، الآية رقم ٤، ص١٨.
(٤) سورة النمل، الآية رقم ٩٠، ص٥١٦.

٣٦٧- القرآن والسنة

في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [القصص:٢] قوله: ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ يدل على أنه مبين لكل شيء، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾؛ ولذلك فإن أي مشكلة تعرض لنا في ديننا نجد حلها في القرآن، والقرآن يرشدنا إلى الأخذ بالسنة، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر:٧].

إذن القرآن والسنة يحلان كل ما يعرض لنا من مشكلات في أمور ديننا، أو دنيانا، ولكن المشكلة هي القصور في فهم النص لدى بعض الناس، ويرجع الأمر إلى سببين: إما هوى متبع، وإما جهل[١].

٣٦٨- الإنسان مفتقر إلى ربه عَزَّوَجَلَّ

المرء مفتقر إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كل أحواله، ولاسيما عند نزول الحوادث؛ لقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص:١٠]، فالإنسان مفتقر إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولولا معونة الله ما فعل الإنسان شيئًا، لا صبر على بلاء، ولا شكر على الرخاء[٢].

٣٦٩- الفرج مع شدة الكرب

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام:٣٤] بيان أن فرج الله عَزَّوَجَلَّ يأتي مع شدة الكرب، فكلما اشتد الكرب فاعلم أنه دنا الفرج، ويؤيد هذا قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥، ٦]، فجعل مقابل العسر الواحد يسرين، وقال النبي ﷺ: «**واعلم أن النصر مع**

---

(١) سورة القصص، الآية رقم ٢، ص٨.

(٢) سورة القصص، الآية رقم ١٠، ص٤٨، ٤٩.

الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا»، وهذا كلام الله وكلام رسوله فهو حق وصدق، لكن النفوس قد تبوء بالفشل فلا تصبر[1].

٣٧٠-الإيمان والعمل الصالح

قوله تعالى: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الكهف:٢] يفيد أنه لابد مع الإيمان من العمل الصالح، فلا يكفي الإيمان وحده، بل لابد من عمل صالح؛ ولهذا قيل لبعض السلف: «أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟»، يعني: فمن أتى به فُتح له، قال: بلى، ولكن هل يفتح المفتاح بلا أسنان؟[2].

٣٧١- قصص الله عَزَّوَجَلَّ

في قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الكهف:١٣] دليل على أن قصَّ الله عَزَّوَجَلَّ أكمل القصص وأحسن القصص؛ **لأنه صادر عن:**

١ـ علم.

٢ـ عن صدق.

٣ـ صادر بأفصح عبارة وأبينها وأوضحها، ولا كلام أوضح من كلام الله إلا من أضل الله قلبه، وقال: هذا أساطير الأولين.

٤ـ وبأحسن إرادة لم يرد الله تعالى بما يقص علينا أن نضل، ولا بما حكم علينا أن نجور، بل أراد أن نهتدي، ونقول بالعدل[3].

---

(١) سورة الأنعام، الآية رقم ٣٤، ص١٨١.
(٢) سورة الكهف، الآية رقم ٢، ص١٠.
(٣) سورة الكهف، الآية رقم ١٣، ص٢٥.

٣٧٢ - الصديق الصالح

ينبغي علينا اختيار الرفيق الصالح؛ لقوله تعالى: ﴿وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [المائدة:٨٤]، وهذا أمر دلت عليه السنة دلالة صريحة، فإن النبي ﷺ قال: «**مثل الجليس الصالح كحامل المسك، إما أن يبيعك أو يحذيك، أو تجد منه رائحة طيبة**»[١].

٣٧٣ - غفلة القلب في العبادة

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨]، في هذه الآية إشارة إلى أهمية حضور القلب عند ذكر الله، وأن الإنسان الذي يذكر الله بلسانه لا بقلبه تنزع البركة من أعماله وأوقاته حتى يكون أمره فرطًا عليه، تجده يبقى الساعات الطويلة، ولم يحصل شيئًا، ولكن لو كان أمره مع الله لحصلت له البركة في جميع أعماله[٢].

٣٧٤ - فضيلة الإحسان

قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]، أي: افعلوا الإحسان في عبادة الخالق، وفي معاملة المخلوق، أما الإحسان في عبادة الخالق فقد فسَّره النبي ﷺ بقوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، وأما الإحسان في معاملة الخلق فأن تعاملهم بما تحب أن يعاملوك به من بذل المعروف، وكف الأذى[٣].

---

(١) سورة المائدة، الآية رقم ٨٤، ٢/ ٢٩٢.
(٢) سورة الكهف، الآية رقم ٢٨، ص٦٢.
(٣) سورة البقرة، الآية رقم ١٩٥، ٢/ ٣٨٩.

٣٧٥- الولاء والبراء

إثبات العداوة والولاية؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥]، وهو أصل في الدين، فإن ولاية المؤمنين من واجب المؤمن، والبراءة من الكفار من واجب المؤمن، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة:٤]، فهذا أمر لابد منه، فلابد أن يتبرأ الإنسان من كل كافر(١).

٣٧٦- إبطال الباطل بالقلب واللسان

في قوله تعالى: ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور:١٢]، أي: يجب على المؤمن إبطال الباطل بقلبه وبلسانه، لا يكفي أنك تعتقد أن هذا ليس بصحيح، بل يجب أن تبين بطلان هذا الشيء؛ لأن الذي يعتقد أن هذا الأمر غير صحيح ويسكت موقفه سلبي في الواقع غاية ما هنالك أنه برأ نفسه.

لكن الواجب أن يبطل الباطل؛ ولهذا قال: ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾، لابد من ظن وقول، فلا يكفي أنك تعتقد أن ما قيل في عائشة وصفوان أنه إفك، بل يجب أن تقول: لأجل أن يقابل هذا الباطل بالإبطال، وأما أن نسكت نقول: نحن نبرأ إلى الله، ونقول: هذا ليس بصحيح أبدًا لا يكفي هذا، لابد أن نظن الخير ونبطل الباطل(٢).

---

(١) سورة القصص، الآية رقم ١٥، ص٧٣.
(٢) سورة النور، الآية رقم ١٢، ص٧٢.

٣٧٧ - أهل النار

في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾ [الفرقان:١٣] دليل على أنهم ـ والعياذ بالله ـ لا يعاملون معاملة رحمة، بل يُلقون إلقاءً، ويُطرحون طرحًا، وفي قوله: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾، أيضًا دليل على أن هذا المكان الذي يُلقون منه لا يكون واسعًا، بل يضيق عليهم، وهذا قبل دخولها، فكيف إذا دخلوها؟ [١].

٣٧٨ - إنما علينا البلاغ والدعوة

قال الله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان:٤٣]، وإذا كان هذا الكلام للنبي ﷺ فمن دونه أولى، فنحن لسنا وكلاء على من عصوا الله، ولا على من فسقوا عن أمره، إنما علينا البلاغ والدعوة، وعلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الحساب، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد:٤٠]، وبهذا تعرف أنه لا ينبغي للإنسان أن يحزن على ضلال من ضل، إذا كان قد قام بما أوجب الله عليه من البلاغ والدعوة[٢].

٣٧٩ - ركنان في كل عمل

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦] هذان الوصفان هما رُكنان في كل عمل، فكل عمل لابد له من هذين الأمرين، لا يكون إلا بهما، وهما القوة والأمانة، فبالقوة يكون الفعل، وبالأمانة يكون تمام الفعل، فغير القوي لا يفعل، وغير الأمين لا يتمم الفعل، وقد لا يفعله أصلًا؛ ولذلك إذا

(١) سورة الفرقان، الآية رقم ١٣، ص٦٥، ٦٦.

(٢) سورة الفرقان، الآية رقم ٤٣، ص١٧٧، ١٧٨.

كان الإنسان قويًا أمينًا حصل به تمام الفعل، في غير المستأجر، يعني في الإجارة إننا نطلب القوي الأمين في جميع الأعمال، لو وكلنا شخصًا على بيع فخير من نوكل القوي الأمين(١).

٣٨٠- من أسباب ضلال الإنسان

الأعمال السيئة قد تكون سببًا لضلال العبد؛ لقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [العنكبوت:٣٨]، ولا ريب في ذلك، قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ﴾ [المائدة:١٣]، فالأعمال السيئة يجر بعضها بعضًا حتى يعمى الإنسان ـ والعياذ بالله ـ عن الحق بسبب معصيته (٢).

٣٨١- الجزاء من جنس العمل

قال الله تعالى: ﴿وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ﴾ [الأنعام:٣١]، يعني: يوم القيامة يحملون أوزارهم على ظهورهم، أي: جزاء أعمالهم على ظهورهم، والله تعالى يعبر دائمًا عن الجزاء بالعمل، **لفائدتين:**

الفائدة الأولى: أن يصلح الإنسان عمله.

والفائدة الثانية: أن يعلم أن الجزاء من جنس العمل؛ لأن الجزاء على العمل دائر بين أمرين لا ثالث لهما، الأول: الفضل، والثاني: العدل، ولا ظلم، فإن كان

(١) سورة القصص، الآية رقم ٢٦، ص١٠٦.
(٢) سورة العنكبوت، الآية رقم ٣٨، ص١٩٤.

العمل حسناتٍ فبالفضل، وإن كان سيئات فبالعدل، وربما يكون بالفضل حيث يعفو الله عَزَّوَجَلَّ عنهم [(١)].

٣٨٢ - تقديم مشيئة الله تعالى لكل قول

في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف:٢٣، ٢٤] بيان أن القول ينبغي أن يكون مقرونًا بمشيئة الله، **فقرن ذلك بمشيئة الله يستفيد منه الإنسان فائدتين عظيمتين:**

إحداهما: أن الله ييسر الأمر له حيث فوضه إليه - جَلَّ وَعَلَا.

والثانية: إن لم يفعل لم يحنث [(٢)].

٣٨٣ - جنود الظالم ظلمة

جنود الظالم ظلمة؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [القصص:٢٥]، لأنه ما قال: نجوت من الظالم، بل قال: ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾، وهو كذلك فإن جنود الظالم ظلمة؛ ولهذا لو أمرك الأمير، أو من فوق الأمير بأمر تعرف أنه ظالم فيه، فإن طاعتك له محرمة، وأن ذلك من باب طاعة المخلوق في معصية الخالق [(٣)].

٣٨٤ - مجالسة السفهاء

لا ينبغي للعاقل طلب السفهاء، فضلًا عن الجلوس معهم؛ لقوله تعالى: ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ [القصص:٥٥]؛ لأن طلبهم في الحقيقة يؤدي إلى الجلوس معهم، والجلوس مع الجاهلين إثم، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ

(١) سورة الأنعام، الآية رقم ٣١، ص١٥٩.
(٢) سورة الكهف، الآية رقم ٢٣، ٢٤، ص٤٦.
(٣) سورة القصص، الآية رقم ٢٥، ٢٤، ص١٠٤.

عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام:٦٨]، فلا ينبغي للإنسان أن يطلب أهل السفه، ويجلس إليهم، أو على الأقل يأنس بما يفعلون، فإن هذا من الصفات التي ليس عليها أهل الخير والإيمان [١].

٣٨٥ - هداية التوفيق

قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [القصص:٥٦]، المراد بالهداية هنا هداية التوفيق، بمعنى: لا تضعوا الهداية في قلوب الناس، وليست هداية الدلالة والإرشاد، فإن هداية الدلالة والإرشاد ثابتة للرسول ﷺ؛ لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢]، ولكن هداية التوفيق وهي إلقاء الهدى في القلوب إنما هي لله عَزَّوَجَلَّ وحده [٢].

٣٨٦ - من شروط الفتوى

في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٢٢]، فيه إشارة إلى أن الإنسان لا ينبغي أن يستفتي من ليس أهلًا للإفتاء، حتى وإن زعم أن عنده علمًا فلا تستفته إذا لم يكن أهلًا [٣].

٣٨٧ - معنى قُرَّة العين

في قوله تعالى: ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [الفرقان:٧٤]، ما معنى قرة العين؟ قرة العين هل معناها الاستقرار، يعني أنها مأخوذة من الاستقرار، أو مأخوذة من القر، وهو البرد، لأنهم يقولون: إن دموع العين الحزينة حارة، والعين القريرة باردة؟

---

(١) سورة القصص، الآية رقم ٥٥، ص٢٧٤، ٢٧٥.

(٢) سورة القصص، الآية رقم ٥٦، ص٢٧٨.

(٣) سورة الكهف، الآية رقم ٢٢، ص٤٤.

هذا هو الأقرب، وليس من الاستقرار، وليس المعنى أن الإنسان إذا فرح قرت عينه، وإذا حزن اضطربت وتحركت، ليس الأمر كذلك، لكنها من القر الذي هو البرودة؛ لأن الإنسان إذا حزن حميت عينه؛ ولهذا يقال: دموع الحزين حارة، فالمعنى السرور والاطمئنان، وما أشبه ذلك وكنى بالعين؛ لأنها تتأثر [(١)].

٣٨٨ - لا تتم الإمامة إلا بهذه الأمور الثلاثة

قول الله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤]، يتضمن ثلاثة أمور: العلم والتقوى والتأثير؛ لأن من لم يكن عالمًا لم يكن قدوة، ومن لم يكن متقيًا لم يكن قدوة، ومن لم يكن مؤثرًا لم يكن قدوة أيضًا، والتأثير بالقول والفعل له دور كبير، تجد مثلًا رجلين متقاربين في العلم، لكن أحدهما يصرف الله القلوب إليه فيتخذوته قدوة، والآخر لا يحصل له هذا الأمر؛ فلهذا نقول: نزيد على العلم والتقوى التأثير، والتأثير كما هو معروف يكون سببه قوة البيان والفصاحة، إذا كان التأثير بالقول، ويكون سببه أيضًا الاستقامة وحسن السلوك، إذا كان تأثيرًا بالفعل، وعلى كل حال فلا تتم الإمامة إلا بهذه الأمور الثلاثة: العلم، والتقوى، والتأثير بالقول أو بالفعل [(٢)].

٣٨٩ - إعانة المجرم تنافي الشكر

في قول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص:١٧] دليل على أن مظاهرة المجرم تنافي الشكر، فهي محرمة؛ لأنها إجرام حقيقة، بل تكون مساعدة المجرم بمنع إجرامه؛ ولذلك قال النبي ﷺ: **«انصر أخاك ظالمًا،**

---

(١) سورة الفرقان، الآية رقم ٧٤، ص٣٢٦، ٣٢٧.

(٢) سورة الفرقان، الآية رقم ٧٤، ص٣٢٨.

أو مظلومًا»، قالوا: يا رسول الله، هذا الظالم، فكيف ننصر المظلوم؟ قال: «**تمنعه من الظلم**»[١].

٣٩٠- يجوز أن تخطب لبنتك

يجوز خطبة الزوج، بمعنى أن الرجل يجوز أن يخطب الرجل لابنته؛ لقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾ [القصص:٢٧]، على عكس المتعارف عليه، وهذا جائز[٢].

٣٩١- من أسباب نجاح الدعاة

يجوز للإنسان أن يستعين بغيره في الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص:٣٤]، فاتخاذ الأعوان من أسباب النجاة، وهذا أمر معلوم من قديم الزمان وحديثه، أنه كلما كان الإنسان معه من يعينه ويساعده، كان ذلك أقرب إلى نجاحه من انفراده، والعوام يقولون: يد واحدة لا تصفق[٣].

٣٩٢- الظلم محرم

الظلم محرم؛ لأنه سبب في العقوبة؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٤٠]، وما كان سببًا لعقوبة فإنه محرم، وسواء كان الظلم للنفس، أو للغير؛ لأنه محرم بجميع أنواعه، قال الله تعالى في الحديث

---

(١) سورة القصص، الآية رقم ١٧، ص٧٩.
(٢) سورة القصص، الآية رقم ٢٧، ص١٢١.
(٣) سورة القصص، الآية رقم ٣٤، ص١٦٦.

القدسي: «**يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا**»[١].

٣٩٣- لماذا سُمِّيت الجنة بجنة النعيم؟

قال تعالى: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان:١١]، فالنضرة في الوجه وهو الحسن، والسرور في القلب، فكان الحسن في الجنة ظاهرًا وباطنًا؛ ولهذا سميت جنة النعيم لتنعم الإنسان فيها ظاهرًا وباطنًا، فقلبه منعم بالسرور، وبدنه منعم بالنضرة ولباس الحرير[٢].

٣٩٤- لن تدخل الجنة بعملك

لا يدخل الإنسان الجنة بعمله؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [فاطر:٣٥]، ولكن قد يشكل على هذا قوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢]، وأشباهها من الآيات، وقد جمع العلماء ـ رحمهم الله ـ بين الآيتين بأن الباء في قوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢] للسببية، وأن الباء في قول الرسول ﷺ: «**لا يدخل الجنة أحد بعمله**» للعوض، يعني أن دخول الإنسان الجنة ليس بعمله؛ إذ لو أنه أريدت المعاوضة لهلك الإنسان، فلو أن الإنسان نوقش في عمله بالإضافة إلى نعمة الله عليه لكانت نعمة واحدة تقابل كل النعم، بل لكان العمل نفسه نعمة يحتاج إلى شكر؛ لأنه من توفيق الله عَزَّوَجَلَّ للعبد[٣].

---

(١) سورة القصص، الآية رقم ٤٠، ص١٩٧، ١٩٨.
(٢) سورة الصافات، الآية رقم ٤٣، ص٩٧، ٩٨.
(٣) سورة فاطر، الآية رقم ٣٥، ص٢٤٩، ٢٥٠.

٣٩٥- تزكية النفس

في قول الله تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر:١٨] الحث على تزكية النفس، وكل إنسان عاقل إذا علم أن مصلحة العمل تعود إليه فإنه سوف يهتم به ويقوم به، فإذا علمت أن تزكيك لنفسك حرصت عليه غاية الحرص.

والتزكي كما أشرنا إليه يشمل:

تزكية القلب بتطهيره من جميع الشرك، والشك، والضغائن، والأحقاد، والبغضاء، وما أشبه ذلك.

وتزكية الأفواه من كل قول منكر بألا يقول الإنسان إلا خيرًا، لقول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**».

وتزكية الأفعال أيضًا من فعل الفواحش والأخلاق السيئة، وما إلى ذلك مما يجب على الإنسان أن يتطهر منه(١).

٣٩٦- إجلاء من في بقائه ضرر

يشرع إجلاء من في بقائه ضرر، ويؤخذ ذلك من قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب:٦٠]، وقد ثبت نحو هذا الإجلاء في الزاني إذا لم يكن محصنًا، فإنه يجلد مائة جلدة، ويغرب عن البلد الذي زنى فيه لمدة سنة، وثبت أيضًا الإجلاء في قطاع الطريق إذا أخافوا الناس، ولم يأخذوا مالًا، ولم يقتلوا نفسًا، فإنهم ينفون من الأرض، ويبعدون، وثبت الإجلاء أيضًا في

---

(١) سورة فاطر، الآية رقم ١٨، ص١٥٤.

التعزير، فإن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نفى نصر بن الحجاج، وكان رجلًا وسيمًا حتى إن النساء بدأن يتغزلن به يقول قائل:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

فأمره عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يحلق رأسه حتى لا يفتتن النساء به، فلما حلق رأسه صرن يتغزلن به من وجه آخر بعد الحلق، فرأى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن ينفى، فنفاه إلى البصرة، وكذلك أيضًا نفى الحطيئة.

إذن فأصل النفي والإبعاد عن الأرض ثابت في القرآن، يعني دلَّ عليه القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

٣٩٧- كل عبادة هي من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ

قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]، ذكر الله عَزَّوَجَلَّ شامل لكل عبادة، فكل عبادة هي ذكر لله عَزَّوَجَلَّ، حتى دراسة العلم هي من ذكر الله؛ ولهذا تسمى حِلقُ العلم حلق الذكر، أو مجالس الذكر، فكل ما يقرب إلى الله تعالى وكل عبادة من ذكر الله تعالى[2].

٣٩٨- الخشوع في العبادة

قال تعالى: ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]، فالخشوع في الصلاة هو سكون القلب الذي يظهر أثره على الجوارح، أو معنى يكون بالنفس يظهر منه سكون الأطراف، وهناك أيضًا خشوع في بقية الطاعات، بأن يؤديها الإنسان، وهو

---

(١) سورة الأحزاب، الآية رقم ٦٠، ص٥٠١.
(٢) سورة الأحزاب، الآية رقم ٣٥، ص٢٧١.

متواضع متطامن لله عَزَّوَجَلَّ، ومنه ما حصل لرسول الله ﷺ حين فتح مكة وانتصر على أهلها فإنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم يدخل دخول العالي المستكبر، وإنما دخل مطأطئًا رأسه ﷺ خاضعًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ومنه أيضًا الخشوع في الحج والعمرة، حيث يؤديها الإنسان بتطامن، وذل، وهو يعتقد أنه يعبد الله تعالى، فأنت إذا دخلت في العمرة أو الحج فاعتقد أنك في عبادة من حين أن تقول: «لبيك اللهم لبيك» إلى أن تنتهي، ولكننا مع الأسف الشديد لا نشعر بهذا، فتجد الإنسان يلتبس بمحظورات الإحرام وبغيرها من المحرمات، إلا من شاء الله تعالى.

إذن الخشوع يشمل جميع الطاعات، بأن يؤديها الإنسان بتواضع وذل وتطامن، ليس في قلبه استكبار ولا علو، ولا فرق في هذا بين أن يكون الخشوع في أثناء فعل العبادة، أو بعد فعل العبادة أيضًا؛ لأن من الناس من يخشع في العبادة لكن إذا انتهى منها رأى نفسه في درجة عالية، وأنه مرتفع، وأنه قد نال درجة ما نالها غيره، وهذا من الإعجاب بالنفس وبالعمل، فالإنسان ينبغي له إذا أدَّى العبادة أن يكون كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠]، إن نظروا إلى تقصيرهم خافوا، وإن نظروا إلى فضل الله تعالى طمعوا[١].

٣٩٩ - فضيلة الإيمان

من فضيلة الإيمان أنه سبب في ثناء الله تعالى وملائكته على عبده، يؤخذ هذا من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب:٤٣]، بعد أن قال: ﴿يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الأحزاب:٤١][٢].

(١) سورة الأحزاب، الآية رقم ٣٥، ص٢٦٤، ٢٦٥.
(٢) سورة الأحزاب، الآية رقم ٤١، ص٣٣٠.

٤٠٠- أقسام التوكل

في قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الأحزاب:٤٨]، فيها دليل على وجوب التوكل على الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، **وقد ذكرنا في «كتاب التوحيد» أن التوكل ينقسم إلى أقسام:**

أحدها: توكل العبادة، وهو شعور الإنسان بافتقاره إلى المتوكَّل عليه وذُلِّه بين يديه، وهذا لا يجوز صرفه لغير الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وصرفه لغير الله كفر وشرك؛ لأنه إشراك بالله فيما لا يستحقه إلا الله تعالى، وهو شرك أكبر.

والثاني: الاعتماد على الغير الذي جعلته نائبًا عن نفسك، فهذا جائز، وقد وقع حتى من الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ - فإنه وَكَّلَ عروة بن الجعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ على أن يشتري له أضحية، وكان له وكيل في خيبر، وكذلك وَكَّلَ علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ في ذبح ما بقي من الهدي، وهو جائز ولا إشكال فيه، ووَكَّل علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ حين ذهب إلى تبوك؛ أن يكون خليفة له في أهله، وموسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وَكَّل هارون صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ حين ذهب إلى الطور، وقال: ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ﴾ [الأعراف:١٤٢].

إذن هذا جائز ولا إشكال فيه؛ لوقوعه من الأنبياء؛ ولأنه عقد من العقود، والأصل في العقود الحِلّ إلا ما قام الدليل على منعه.

الثالث: أن يعتمد على مَن لا يصح الاعتماد عليه، على قوة سرية نعلم أنه لا أثر لها في هذا الاعتماد، وهذا شرك قد يكون أكبر وقد يكون أصغر، مثل اعتماد

أولئك الذين يتوسَّلون بالأموات، ويعتقدون أن في الاعتماد عليهم خيرًا، هؤلاء قد يصل بهم الأمر إلى الشرك الأكبر، وإلا فمجرد اعتمادهم عليهم شرك ولا يحل.

الرابع: أن يعتمد على قوة ظاهرة مؤثِّرة، لكنه يعتمد عليها لا باعتبار أنها نائبة عنه، بل باعتبار أنها مُجْدِيَة له، وأنها مصدر سعادته وفلاحه ورزقه، وما أشبه ذلك، فهذا مكروه، وقد يصل إلى درجة التحريم، كاعتماد الإنسان على الراتب وعلى المعاش من الوزارة التي يعمل فيها والإدارة والرئاسة، وما أشبه ذلك، فإن هذا فيه نوع من الشعور بالافتقار إلى هذا الشيء والتذلُّل له[1].

٤٠١- ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾

ينبغي اتخاذ الوسائل التي ينبغي بها حفظ الفرج؛ لقوله تعالى: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]؛ لأن الثناء على شيء ثناء عليه وعلى وسائله، فكل ما يحصل به حفظ الفرج فإنه مطلوب ومشروع؛ ولهذا حرم النظر إلى الأجنبية، وحرم التلذذ بمخاطبتها، والاستماع إلى صوتها، وحرم أيضًا مصافحة المرأة الأجنبية، وحرمت الخلوة بها، وحرم سفرها بلا محرم، وما أشبه ذلك، مما يكون سببًا في حفظ الفروج، فإذا كان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أثنى على الحافظين فروجهم فإن الوسائل التي تؤدي إلى حفظ الفرج من الأمور المطلوبة[2].

(١) سورة الأحزاب، الآية رقم ٤٨، ص٣٠، ٣١.
(٢) سورة الأحزاب، الآية رقم ٣٨، ص٢٨٢.

٤٠٢- من آداب الضيف

الإنسان ينبغي له إذا قضى حاجته من الطعام أن ينصرف؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾ [الأحزاب:٥٣]، وهذا كما أنه في بيوت النبي عليه الصلاة والسلام فهو أيضًا في بيوت غيره.

فإن الأفضل لمن دعي إلى طعام الأفضل له إذا طعم أن ينتشر؛ لأن بقاءه قد يشق على صاحب البيت؛ ولأن الحاجة التي جاء من أجلها قد انتهت، وإذا تأملت الشريعة وجدت أن الإنسان من حسن أدبه وسلوكه أنه كلما فرغ من حاجته التي يريد ينتهي منها وينصرف إلى حاجات أخرى؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام في المسافر إذا قضى حاجته قال: «**إذا قضى أحدكم حاجته فليعجل إلى أهله ولا ينتظر**».

وهذا الحكم إنما يكون في حالة تأذي صاحب البيت؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ [الأحزاب:٥٣]، أما إذا كان لا يتأذى به، بل يسر به، بل قد يكون بطلبه، فإذا فرغ من الطعام قال: انتظروا، اجلسوا نستأنس، ونتحدث، فإن هذا ليس منهيًّا عنه، بل جائز، ولا بأس به[١].

٤٠٣- الخشية من الله عز وجل والتأثر بالقرآن

الخشية لله سبب عظيم للتأثر بالقرآن والانتذار به؛ لقوله تعالى: ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ [يس:١١].

ومن فوائدها: أنها من أسباب الانتفاع بالقرآن، فكلما كان الإنسان أخشى لربه كان أفهم لكلامه[٢].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية رقم ٥٣، ص٤٣٨، ٤٣٩.
(٢) سورة يس، الآية رقم ١١، ص٣٩.

٤٠٤- تقديم الوحي على الرأي

يجب تقديم الوحي على الرأي في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾ [الأحزاب:٢]، فإن هذا الخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ وإلى أمته بالأولى، فيفيد وجوب تقديم الوحي على الرأي.

وتقديم الرأي على الوحي له أقسام: منها ما يصل إلى الكفر، ومنها ما هو دون ذلك، فالذين يقدمون الرأي على الوحي مع علمهم بالوحي معتقدين أن غير الوحي مساوٍ له، أو أكمل منه، أو أنه يجوز الحكم بالرأي المخالف للوحي مع العلم به، فهؤلاء يعتبرون كفارًا.

وفي هذه الأحوال الثلاثة إذا اعتقدوا أن الرأي أكمل وأنفع من الوحي، أو أنه مساوٍ له، أو أنه يجوز تقديمه على الوحي مع العلم به، فهؤلاء كفار؛ لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

وأما من قدموه بتأويل ظنًّا منهم أن ذلك لا يخالف الوحي، أو أنه طريق يوصلهم إلى الوحي، فهؤلاء لا يصلون إلى درجة الكفر، وذلك مثل كثير من المتعصبين للمذاهب فإنهم لا يرون أن هذه المذاهب خارجة عن الوحي، وإنما يرون أن ذلك طريق إلى العمل بالوحي، ويقولون: هذا إمامنا أعلم منا وأفهم فنتبعه ونتهم رأينا بالنسبة إلى رأيه، وإلا فنحن متمسكون بشريعة الله ومحكمون لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

هؤلاء نقول: إنهم إذا تبين لهم الحق وجب عليهم اتباعه ولو خالف متبوعهم من الأئمة؛ وذلك لأن الحق لا يخطئ والأئمة يخطئون، ولا يمكن أن ندعي العصمة لأحد من البشر إلا رسول الله ﷺ، لا يمكن أن يدعي العصمة إلا رجل ضال[1].

٤٠٥- المرأة ومخاطبة الرجال

يحرم خضوع المرأة في مخاطبة الرجال؛ لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الأحزاب:٣٢].

فإن قلت: أفلا يكون هذا خاصًّا بزوجات الرسول ﷺ لِمَا لهن من المكانة والشرف حتى يبعدن عن مواضع الفتن؟

فالجواب: أنه إذا كان نساء الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهن أطهر النساء، وأبعدهن عن الفتنة مَنْهِيَّات عن الخضوع بالقول، مُعَلَّلًا ذلك النهي بخوف طمع مَن في قلبه مرض، فإن الحكم يدور مع عِلَّتِه وجودًا وعدمًا، فإذا كان هذا في النساء الطاهرات الْمُبَرَّآت فغيرهن من باب أولى، وإذا كانت العلة خوف طمع مَن في قلبه مرض فهذه العلة لا تختص بزوجات الرسول ﷺ.

وعلى هذا فيَحْرُم خضوع المرأة بالقول لأي أحد من الناس، اللهم إلا لمحارمها مع أَمْن الفتنة أيضًا، يعني حتى المحارم، «**فَإِنَّ الشَّيْطَانُ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ**»، ربما مع خضوعها بالقول ربما تحصل الفتنة، ولا سيما المحارم بالرضاع والمصاهرة؛ لأن نفور الطبيعة عن المحارم بالرضاع والمصاهرة أقلّ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية رقم ٢، ص٢٥، ٢٦.

من نفورها عن المحارم بالنسب والقرابة، وهذا أمر مشاهَد؛ ولهذا يجب التحرز في المحارم بالرضاع والمصاهرة أكثر من التحرز عن المحارم بالنسب.

ولا بأس بمخاطبة المرأة الرجال لكن بالمعروف، يؤخذ من قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب:٣٢][1].

٤٠٦- كثرة ذكر الله عَزَّوَجَلَّ

كثرة ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لها فضيلة عظيمة؛ لقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٥]، وجدير بالمرء أن يكون دائمًا ذاكرًا لربه عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه ما من نعمة هو فيها إلا وهي من الله تعالى، فإذا كان قد أدام عليك النعم، وأكثر عليك النعم فلماذا لا تديم ذكره؟! حقيقة الأمر أن الإنسان لو فكر لوجد أنه لو يستوعب ليله ونهاره في ذكر الله ما كفى؛ ولهذا قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»، فالإنسان ما يمكن أن يحصي الثناء على الله أبدًا مهما كان[2].

٤٠٧- إجابة الدعوة

يشرع إجابة الدعوة، لقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟﴾ [الأحزاب:٥٣]، وهل يستفاد منها دخول الإنسان المدعو وإن لم يؤذن له إذا وجد الباب على هيئة تدل على الإذن؟

الجواب: نعم، وهو واضح؛ لأنه تعالى قال: ﴿إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟﴾، ولم يقل:

(١) سورة الأحزاب، الآية رقم ٣٢، ص٢٢١، ٢٢٢.
(٢) سورة الأحزاب، الآية رقم ٣٥، ص٢٨٢.

إذا دعيتم فأجيبوا، والدخول أخص، وعلى هذا فإذا كنتُ مدعوًّا، وحضرتُ إلى الباب فلي أن أدخل إذا علمنا بالقرينة أن الباب قد وضع موضع الإذن، كما لو كان مفتوحًا(١).

٤٠٨- الصلاة على النبي ﷺ

المشروع أن يصلي الإنسان على النبي ﷺ باللفظ؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، ولا يكفي السلام أو الصلاة بالقلب، وعلى هذا فينبغي عندما نكتب أحاديث أن نكتب (ﷺ)، وأما ما يفعله بعض الناس من كتابة (ص) أو (صلعم) فإن أهل العلم كرهوا ذلك، وقالوا: إن الأفضل أن نكتب: (ﷺ)(٢).

٤٠٩- تغطية وجه المرأة

كل ما يخشى منه الفتنة فإنه يجب البعد عنه؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور:٣١]؛ لأن الخلخال الذي يسمع إذا ضربت المرأة برجلها يخشى منه الفتنة، وخشية الفتنة بمخفي عند ضرب المرأة برجلها أقل بكثير من أن تخرج المرأة وجهها، ذلك الوجه الجميل المجمل بالكحل والتحمير وغير ذلك.

وكلٌّ يعلم أن هذا أعظم فتنة من خلخال مستور يسمع صوته عند الضرب بالرجل، وتأبى حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن ينهي عن ضرب المرأة برجلها؛ لئلا

---

(١) سورة الأحزاب، الآية رقم ٥٣، ص٤٣٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية رقم ٥٦، ص٤٧٠، ٤٧١.

يسمع خلخالها، ثم يرخص لامرأة من أجمل النساء أن تظهر وجهها وكيفيها، فهٰذا تأباه حكمة الله عَزَّوَجَلَّ [(١)].

٤١٠- الإنفاق في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ

في قوله تعالى: ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [فاطر:٢٩] بيان أن الإنفاق لا نقول فيه: إن الإسرار فيه أفضل، ولا إنَّ الإعلان فيه أفضَل، بل هو بحسَب الحال، فتارةً يكون الإنفاقُ سرًّا أفضل، وتارة يكون الإنفاق علنًا أفضل، حسَب ما تقتضيه الحال، بخلاف الصَّدقَة فالأصلُ فيه السِرّ قال اللهُ تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾ [البقرة:٢٧١]؛ لأنَّ الصدقة فيها نوعُ مِنَّةٍ على المعْطَى، فربما ينكَسِر أمام الناس إذا أُعْلِنَتِ الصَّدَقَةُ له فصَارَ إخفاؤها أفضَل، وفي الحديث الصحيح في الذين يُظِلُّهم الله في ظِلِّه: «**رجلٌ تصدَّقَ بصدَقَةٍ فأخفَاها**».

أمَّا الأشياء العامَّة والمعْلَنَة كما لو أردنا أن نُنْفِقَ في مشروع خيرِيٍّ عام لا يظهَر فيه مِنَّة على شخصٍ مُعَيَّن فهنا قد يكونُ الإعلان فيه أفضَل، وكذلك لو أنَّ شخصا جاء إلينا، وقال: أرجو أن تجمعوا لي مِن الناس فهنا ربما يكون الإعلان أفضَل مِن أجلِ أن يَقْتَدِي بك غيرُك، وهذا الرجل الذي طَلَب مِنَّا أن نجمَعَ له لا يَهُمُّه أن يعلمَ الناس بأنَّه يُتَصَدَّقُ عليه أو لا يُتَصَدَّق، المهم أن نقول: إنَّ السرّ والإعلان في الإنفاق كلُّه خير، لكنِ الصدقة الأفضل فيها السِّرّ لما في إظهارِها مِن كسر قلب المُعْطَى، نعم، وأمَّا الأشياء العامة أو الصَّدقة على شخصٍ معين هو الذي طلبَ منَّا أن نجمَعَ له مثلًا فهذا قد يكونُ الإعلان فيه أفضل[(٢)].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية رقم ٥٩، ص٤٨٧، ٤٨٨.

(٢) سورة فاطر، الآية رقم ٢٩، ص٢٠٩، ٢١٠.

٤١١- من كمال نعيم الجنة

في قوله تعالى: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝١٠٨﴾ [فاطر:٣٣] بيان أنَّه مِن كمالِ النعيم أن يستقِرَّ الإنسان، وأن يرَى أنَّه في أكمَل ما يكون حتى لا تتَشَوَّف نفسُه إلى نعيمٍ أعلى فيتنَغَّصُ نعيمُه؛ لأنه من المعلوم أنَّ الإنسان إذا رأى أنَّه دون غيره، وإن كان في مَقامٍ أمين، وإن كانَ في مقام مُنَعَّمٍ فيه، لكن يتنَغَّصُ عليه ذلك لكونِه يرى أنَّ غيرَه أفضلُ منه[1].

٤١٢- الهداية بيد الله عَزَّوَجَلَّ

الأمر كله بيد الله عَزَّوَجَلَّ، فهو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ولكن هذا مقرون بالحكمة من اقتضت حكمة الله عَزَّوَجَلَّ أن يهتدي هداه الله، ومن اقتضت حكمته أن يضل أضله الله، وهذا مبني على قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥]، وحينئذٍ يكون حرمان الله الهداية للشخص، يكون الشخص هو السبب في حرمان نفسه الهداية؛ لأنه ليس أهلا لها، فالله عَزَّوَجَلَّ ينظر في قلوب العباد من وجد في قلبه صلاحية للهدى هداه، ومن وجد في قلبه عدم الصلاحية لم يهده، فأصل بلائك من نفسك[2].

٤١٣- نعمة تذليل الأنعام

في قوله تعالى: ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس:٧٢] بيان نعمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علينا بتذليل هذه الأنعام، ولو استعصت علينا ما تمكنا من الانتفاع بها؛ ولهذا لما ند بعير من الإبل في عهد الرسول ﷺ أدركه رجل بسهم فقال النبي ﷺ:

(١) سورة فاطر، الآية رقم ٣٣، ص٢٣٥.
(٢) سورة يس، الآية رقم ١٠، ص٣٢.

«إن لهذه الإبل أوابد كأوابد الوحش، فما ندَّ منها فاصنعوا به هكذا»، فهذه البعير تمردت على أهلها، ولم يدركوها إلا بالسهم(١).

٤١٤- مكر الله عَزَّوَجَلَّ بالماكرين

في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣] هنا لم يقل: إلا بالماكر، بل قال: ﴿إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾، إشارة إلى بيان الاستحقاق لهذه الجريمة التي وقعت منه، وأنه أهل لأن يحيق به مكره، فكل ماكر بغير حق أهل لأن يحيق به مكره(٢).

٤١٥- حال المؤمن مع الضيق

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على ما هم عليه من المرتبة العالية قد تعترضهم الظنون بسبب الضيق؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب:١٠]، وهو يخاطب المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:١١]، فهم لشدة ضيق قد تعتريهم مثل هذه الوساوس، لكنها في الحقيقة سحابة صيف عندما يرجع الإنسان إلى وعد الله عَزَّوَجَلَّ يزول عنه هذا كله ويتبدد؛ ولهذا سيأتينا في سياق الآيات قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الأحزاب:٢٢]، سبحان الله، يرون هذه الأحزاب العظيمة، ثم يطمئنون أنفسهم بأن هذا ما وعد الله ورسوله، وصدق الله ورسوله؛ لأن النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، فهم لما رأوا هذه الأحزاب العظيمة، وما يترتب عليها على وجودهم من الشدة والضيق عرفوا أن النصر قريب(٣).

---

(١) سورة يس، الآية رقم ٧٢، ص٢٧٢.
(٢) سورة فاطر، الآية رقم ٤٣، ص٣٠١.
(٣) سورة الأحزاب، الآية رقم ١٠، ص١٠٣، ١٠٤.

٤١٦- التعلق بالله عزوجل

في قول الله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةً﴾ [الأحزاب:١٧] الحث على تعلق الإنسان بالله سبحانه وتعالى دون غيره، فإذا كان الأمر كله بيد الله تعالى فإن الإنسان يتعلق بربه دون غيره[١].

٤١٧- الإيمان والعمل

في قول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الأحزاب:١٩] بيان أهمية الإخلاص لله سبحانه وتعالى، فجعل الإحباط فرعًا من عدم الإيمان، وهذا يدل على أن الركيزة الأصلية للأعمال هي الإيمان.

وهل يؤخذ من الآية الكريمة أن ألأعمال تزداد قوة بقوة الإيمان وفضلًا؟

الجواب: نعم؛ لأنه لما حبط العمل لعدم الإيمان دل هذا أنه يقوى بقوة الإيمان، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام في الصحابة: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»، فالعمل واحد لكن العامل مختلف، ففرق بين من يعمل بإيمان راسخ قوي كأنما يشاهد الثواب له بعينه، وبين شخص ليس على هذه الحال[٢].

٤١٨- التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم

يجب التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم، يؤخذ هذا من قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١]، لأن رجاء الله تعالى واليوم الآخر واجب، والواجب علينا أن يكون تأسينا بالرسول صلى الله عليه وسلم تأسيًا حسنًا، لا غلو

(١) سورة الأحزاب، الآية رقم ١٧، ص١٤٠.
(٢) سورة الأحزاب، الآية رقم ١٩، ص١٥٤.

فيه ولا تفريط؛ لقوله تعالى: ﴿حَسَنَةٌ﴾؛ لأن الغلو زيادة، والتفريط نقصان، ودين الله عَزَّوَجَلَّ بين الغالي فيه والمفرط فيه[1].

٤١٩- مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ

يجب مراقبة العبد ربه؛ يؤخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٠]، فأنت إذا علمت أن الله عالم بكل شيء، ومن الشيء: قولك، وفعلك، وفكرك، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق:١٦]، والله لو كان عندنا هذا الإيمان ثابتًا راسخًا لكان الإنسان تقل معاصيه ومخالفته، لكن الإنسان في غفلة، إذا علمت أنك تحركت علم الله تعالى بك، إن سكنت علم الله تعالى بك، إن نطقت علم الله تعالى بك، إن سكت علم الله تعالى بك، إن فكرت علم الله تعالى بك، هذا يوجب لك مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ، وألا يفقدك حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك[2].

٤٢٠- لماذا سُمِّي مهر الزوجة أجرًا؟

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ [الأحزاب:٥٠]، سمي المهر أجرًا؛ لأنه عوض عن الانتفاع بالزوجة والاستمتاع بها، وليس عوضًا عن ذاتها، ولو كان عوضًا عن ذاتها لسُمي ثمنًا، لكنه عوض الاستمتاع بها والانتفاع بها؛ ولهذا سمي أجرًا[3].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية رقم ٢١، ص١٦٧.
(٢) سورة الأحزاب، الآية رقم ٤٠، ص٣٢٣.
(٣) سورة الأحزاب، الآية رقم ٥٠، ص٣٦٧.

٤٢١ - الحكمة في اختلاف الناس في الرزق

في اختلاف الناس في سعة الرزق وضيقه الحكمة العظيمة البالغة، ولولا ذلك ما قامت مصالح الخلق، فلو كان الناس على حد سواء في الغنى فلا يخدم بعضهم بعضًا، ولا يقوم بعضهم بمصالح بعض.

وانظر إلى قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف:٣٢] لماذا؟ ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف:٣٢]، ولولا هذا الاختلاف من بسط الرزق وسعته ما حصلت هذه الفائدة العظيمة، وهو تسخير الناس بعضهم لبعض[١].

٤٢٢ - من كمال السرور لأهل الجنة

لأهل الجنة كمال الفرح والسرور؛ لقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر:٣٤]، فإن هذه الصفة السلبية تدل على كمال ضدها، فإذا كان الحزن منفيًّا عنهم كان ذلك دليلًا على كمال سرورهم، وأنه سرور لا يُشاب بحزن أبدًا بخلاف سرور الدنيا؛ فإن سرور الدنيا مهما عظم مشوب بالكدر؛ ولهذا يقول الشاعر الحكيم:

لا طيب للعيش ما دامت منغصة ... لذاته بادكار الموت والهرم

فالإنسان مهما كان في الدنيا من النعيم، فإنه إذا تذكر أن أمامه شيئين لابد منهما، لا بد من أحدهما قطعًا، فإن طال به الحياة فلا بد من الأمرين جميعًا، وهو الهرم والموت، وحينئذٍ تتنغص عليه حياته، وهو حينئذٍ يعرف أنه كل يوم يمضي عليه فإنه يبعده من الدنيا، ويقربه من الآخرة، وهذا تنغيص آخر[٢].

---

(١) سورة سبأ، الآية رقم ٣٦، ص٢٢٧، ٢٢٨.

(٢) سورة فاطر، الآية رقم ٣٤، ص٢٤٣، ٢٤٤.

٤٢٣- من شؤم المعاصي

في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [فاطر:٤٥] بيان لشؤم المعاصي، وأنها قد تعم العاصي وغيره، بل المكلف وغير المكلف، وإلا فإن هذه الدواب التي هي أكثر بكثير من البشر ومن الجن، ما ذنبها وهي غير مكلفة؟

لكن هذا من شؤم المعاصي، وأنها تشمل حتى من ليس بمكلف[1].

٤٢٤- الرق في الإسلام

في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ [الأحزاب:٥٢] إثبات الرق، والرق ثابت في الإسلام، ومن أنكر وجود الرق فقد أنكر القرآن والسنة وإجماع المسلمين، فيكون مرتدًّا حتى يتوب، ويقر بثبوت الرق.

والناس في هذا الباب طرفان ووسط:

١ـ منهم من يسترق الأحرار.

٢ـ ومنهم من ينكر ثبوت الرق مطلقًا.

٣ـ ومنهم من يثبت الرق بأسبابه وشروطه.

فنسمع عن بعض فئات من الناس أنهم يسترقون أولادهم، ويبيعونهم على غيرهم، وهذا كثير في إفريقيا وفي شرق آسيا حتى إن بعض الهمج والرعاع ظنوا أن ذلك يبيح الوطء بهذا الملك الفاسد، فصاروا يشترون من هؤلاء بناتهم

---

(١) سورة فاطر، الآية رقم ٤٥، ص٣٢٥.

ويطؤونهن بهذا الملك الفاسد، وهذا لا يثبت به الملك، وليس سببًا للرق، وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن الله قال: «**ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجلًا أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًّا فأكل ثمنه، ورجلًا استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره**»، هذا قسم من الناس.

القسم الثاني: من ينكر الرق مطلقًا حتى مع وجود أسبابه الشرعية، وهذا يقوله أولئك الأمم المتمدينة التي تزعم الحضارة والتقدم، لكن من العجب أنهم ينكرون الرق الذي له أسباب شرعية إلهية، ولكنهم يسترقون عباد الله استرقاقًا أشد من الاسترقاق الإسلامي بغير سبب شرعي، وما مشكلة جنوب إفريقيا الحاضرة الآن إلا أنموذجٌ من ذلك فإنهم يسترقون السود استرقاقًا مشينًا، ويحرمونهم حقوقهم، وهذا أقبح بكثير من الاسترقاق الشرعي الإسلامي، على أن الاسترقاق الشرعي الإسلامي ليس فيه قبح؛ لأنك إذا تأملت النصوص الواردة في أحكام الرقيق وجدت أن الشرع إنما أباح استرقاقهم لمصلحتهم؛ لأن سبب الرق واحد، وأسباب الحرية متعددة؛ ولأن الرقيق يجب على مالكه أن يعامله بالمعروف.

وعلى هذا فيكون الطريق الثالث الذي هو إثبات الرق بالأسباب الشرعية الإلهية هو الحق، وقد دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، ولا ينكره إلا مكابر، ومن أنكره فهو كافر[1].

(١) سورة الأحزاب، الآية رقم ٥٢، ص٤١٣، ٤١٤.

٤٢٥- صوت المرأة ليس بعورة

صوت المرأة ليس بعورة؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب:٣٢]، خلافًا لمن قال: إنه عورة من أهل العلم، فالصواب أن صوت المرأة ليس بعورة، ولهذا كان النساء يأتين إلى رسول الله ﷺ يسألنه وحوله أصحابه، ولا ينهاهن عن ذلك، ولو كان صوت المرأة عورة لنهاهن النبي ﷺ عن الكلام مع حضور الرجال(١).

٤٢٦- توبة المنافق

المنافق له توبة في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب:٢٤]، فإنه يشاء أن يعذبهم إذا ماتوا على النفاق، أما إذا تابوا فقد شاء ألا يعذبهم، ولكن كما تقدم في تفسير هذه الآية توبة المنافق ذُكِر فيها شرط لابد من مراعاتها، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء:١٤٦]، لابد أن تظهر هذه الأمور على المنافق، وإلا فإن توبته لا تقبل في الدنيا، أما في الآخرة فأمره إلى الله تعالى، لكن في الدنيا لا نقبلها إلا إذا ظهرت عليه هذه الأوصاف التي اشترطها الله عَزَّوَجَلَّ(٢).

٤٢٧- لا طلاق قبل النكاح

لا طلاق قبل النكاح؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ [الأحزاب:٤٩]، و«ثم» للترتيب، فلا طلاق قبل النكاح، ولا فرق في ذلك

(١) سورة الأحزاب، الآية رقم ٣٢، ص٢٢٢.
(٢) سورة الأحزاب، الآية رقم ٢٤، ص١٨٥، ١٨٦.

بين أن يكون الطلاق لمعينة، أو على سبيل العموم، فلو قال رجل لامرأة: إن تزوجتك فأنت طالق، ثم تزوجها فإنها لا تطلق؛ لأن الطلاق كان قبل النكاح، وكذلك لو قال: كل امرأة أتزوجها فهي طالق، فإذا تزوج امرأة لا تطلق؛ لأنه لا طلاق إلا بعد النكاح[١].

٤٢٨- القنوت

قال تعالى: ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [الأحزاب:٣٥]، القنوت ليس مطلق الطاعة، كما يفهم من كلام المفسر رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكنه: الطاعة بدوام وذل وسكون؛ ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨]، ولما نزلت هذه الآية أمروا بالسكوت، ونهوا عن الكلام، فدل هذا على أن القنوت ليس مجرد فعل الطاعة، بل هي طاعة مع ذل وخضوع ودوام[٢].

٤٢٩- القرآن والسنة سبب الهداية

النظر في الوحي القرآن والسنة سبب في الهداية؛ لأن الباء في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ﴾ [سبأ:٥٠] سببية، وإذا كان ذلك سببًا للهداية كان من العقل والبصيرة أن ننظر في وحي الله تعالى وشرعه، وألا نطلب الصواب من غيرهما، لا نطلب الصواب مما قال فلان وقال فلان، ولكن مما قال الله تعالى ورسوله ﷺ؛ ولهذا قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة هم أولو العرفان

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فلان[٣]

---

(١) سورة الأحزاب، الآية رقم ٤٩، ص٣٦٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية رقم ٣٥، ص٢٥٧، ٢٥٨.

(٣) سورة سبأ، الآية رقم ٥٠، ص٣٠٥.

٤٣٠- الخشية من الله عَزَّوَجَلَّ في الغيب

الخشية التي هي محل الثناء هي ما كانت خشية في الغيب؛ لقوله تعالى: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [فاطر:١٨]؛ لأن الخشية في الظاهر قد يكون الحامل عليها مراعاة عباد الله، لكن إذا كانت بالغيب فإن هذا دليل واضح على أن صاحبها مخلص في خشيته لله عَزَّوَجَلَّ[١].

٤٣١- التوفيق للطاعة

أكبر فضل يتفضل الله به على عبده أن يوفقه للقيام بطاعته؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر:٣٢]، وقد أشار الله تعالى إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨][٢].

٤٣٢- الشيطان وتزيينه للمعاصي

قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة:٢٦٨]، فهو لا يأمر إلا بالفحشاء والسوء ومعصية الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا أحسست من نفسك أنك تهوى المعصية فاعلم أن هذا من إملاء الشيطان، فيجب عليك أن تنفر من هذا؛ لأن هذا صادر من عدو لك، لا يريد إلا إضرارك وخذلانك؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦][٣].

---

(١) سورة فاطر، الآية رقم ١٨، ص١٥٣.
(٢) سورة فاطر، الآية رقم ٣٢، ص٢٣٣.
(٣) سورة فاطر، الآية رقم ٦، ص٥٢.

٤٣٣- فتنة النساء

فتنة النساء مرض في القلب، يحتاج الإنسان فيه إلى معالجة، وإلى مداواة؛ لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب:٣٢]، وهذا المرض مرض فتاك ـ نسأل الله تعالى السلامة منه ـ مرض في القلب كمرض السرطان في البدن، إذا لم يتدارك الله العبد بعفوه وتوفيقه وتسديده، فإنه يهلك؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**»، فالواجب الحذر من هذا الأمر، وألا يملي الإنسان لنفسه ويمهلها في هذا الباب[١].

٤٣٤- تلاوة القرآن في البيوت

البيت الذي يتلى فيه كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خير من البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله تعالى؛ لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٣٤]؛ ولهذا قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا**»، يعني: لا تجعلوها مثل القبور لا تصلون فيها، وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ: «**أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**»، وكان من هدي الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أن تسمع لبيوتهم من تلاوة كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دوي كدوي النحل من قراءة كتاب الله تعالى في البيوت[٢].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية رقم ٣٢، ص٢٢٣.
(٢) سورة الأحزاب، الآية رقم ٣٤، ص٢٥١، ٢٥٢.

٤٣٥ - لله العزة ولرسوله وللمؤمنين

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، فمتى أراد الإنسان العزة فليكن مؤمنًا، وكل ما كان أكثر إيمانًا بالله وأقوى إيمانًا بالله كان أكثر عزة وأقوى عزة؛ ولهذا قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلئن نبتغي العزة بغيره - بسواه - أذلنا الله [(١)].

٤٣٦ - المعاصي وضيق القلب

للذنوب آثار عظيمة على القلب توجب أن يكون منقبضًا، وإذا تلذذ بعض الشيء في هذه المعصية فإنه يعقب ذلك حسرة عظيمة في القلب وضيق، واقرأ إن شئت قول الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر:٢٢]، يتبين لك أن المعصية تسوء فاعلها، وإن كان قد لا يشعر بها؛ لأنه قد ران على قلبه ما كان يعمل [(٢)].

٤٣٧ - الاستعلاء بالطاعة

يجب كبح النفس عن الاستعلاء والفخر بالطاعة، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [فاطر:٣٢]، حتى لا يقول الإنسان: فعلت ذلك من نفسي وأنا الذي فعلت وفعلت، وهذا خلافًا لما يسير عليه بعض الناس إذا

---

(١) سورة فاطر، الآية رقم ١٠، ص٨١.

(٢) سورة فاطر، الآية رقم ١٠، ص٨٩.

فعل المعصية كان جبريًّا، وإذا فعل الطاعة كان قدريًّا، إذا فعل الطاعة قال: هذا مني، وأنا الذي فعلت، وأنا الذي فعلت، وإذا فعل المعصية قال: هذا من الله وأنا مجبر عليه، فبعض الناس يسلك هذا المسلك، وهذا مسلك بعيد عن العدل(١).

٤٣٨ - من كان قلبه سليمًا لا تغريه المرأة

من جعل الله تعالى قلبه صحيحًا، فإن المرأة لا تغريه بما تفعله من أسباب الفتنة؛ لأنه تعالى قال: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب:٣٢]، ولم يقل: فلا تخضعن بالقول فيطمع الناس فيكن، بل قال تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ ، لكن مع ذلك لو كان الإنسان صحيح القلب سليمًا، ثم أحس في نفسه شيئًا من الفتنة، فالواجب عليه البعد عن ذلك، لا يقل: إني سليم، إني والحمد لله تعالى لا يهمني هذا الأمر، لا يقل هكذا، فإن الإنسان قد يرى نفسه متحصنًا بحصن التقوى، ولكن الشيطان يخدعه عند مواضع الفتن(٢).

٤٣٩ - جواز تشريك الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله بالواو في الأحكام الشرعية

يجوز تشريك الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله بالواو في الأحكام الشرعية، يؤخذ هذا من قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ [الأحزاب:٣٦]، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [النساء:١٤]، بخلاف الأمور الكونية، فإن الرسول ﷺ لا يشرك مع

(١) سورة فاطر، الآية رقم ٣٢، ص٢٣٢، ٢٣٣.
(٢) سورة الأحزاب، الآية رقم ٣٢، ص٢٢٣.

الله تعالى بالواو؛ ولهذا قال له الرجل: ما شاء الله وشئت، قال ﷺ: «**أجعلتني لله ندًّا، بل ما شاء الله وحده**»(١).

٤٤٠- كيف تكون وجيهًا عند الله عَزَّوَجَلَّ؟

قال تعالى: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾[الأحزاب:٦٩]، فقدم ﴿عِندَ﴾ على قوله تعالى: ﴿وَجِيهًا﴾ إشارة إلى أن المهم أن تكون وجيهًا عند الله تعالى، ويكون وجيهًا عند الله تعالى بعبادته، فكلما كان الإنسان أعبد لله تعالى وأطوع له كان عند الله تعالى أوجه، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحجرات:١٣]، فكل من كان أتقى فهو أكرم عند الله تعالى، وأرفع منزلة (٢).

٤٤١- إدخال السرور في قلوب المؤمنين

ينبغي مراعاة المؤمن بإدخال السرور عليه وانتفاء الحزن عنه؛ لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ﴾[الأحزاب:٥١]، أي: لا يدخلهن الحزن والغم مما مضى، وهذه الحال للمؤمن تنافي حال الشيطان، فإن الشيطان يسعى لكل ما يحزن بني آدم، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المجادلة:١٠]؛ ولهذا كل من حاول إدخال الحزن على أخيه المسلم فإنه شبيه بالشيطان الذي يريد إدخال الأحزان على المؤمنين (٣).

---

(١) سورة الأحزاب، الآية رقم ٣٦، ص٢٩٦.
(٢) سورة الأحزاب، الآية رقم ٦٩، ص٥٣٠.
(٣) سورة الأحزاب، الآية رقم ٥١، ص٤٠٢.

٤٤٢- من أسباب النجاة من المهلكات

الطاعات السابقة تكون سببًا للنجاة من المهلكات اللاحقة؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣، ١٤٤]، فيكون في هذا شاهد لقول النبي ﷺ: «**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**»[(١)].

٤٤٣- لا تدعُ على شخص معين من الكفار باللعنة

النبي ﷺ لما صار يقول: «**اللهم العن فلانًا وفلانًا**»، ممن عينهم من أئمة الكفر، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٢٨]، فنهاه، وقال: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾، وإذا كان رسول الله ﷺ ليس له من الأمر شيء فما بالك بمن دونه؟

وأما التعليل فإننا نقول: لا تلعنه، ادع الله له بالهداية؛ لأنك لا تدري ربما يكون هذا العدو للإسلام اليوم هو ولي الإسلام في يوم آخر، ألم يكن عمر من أعداء الإسلام؟ ألم يكن خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ممن اقتحموا الجبل في أحد ليقتلوا الرسول وأصحابه؟ ثم كانوا من قواد المسلمين، وكان عمر الخليفة الثاني في هذه الأمة[(٢)].

---

(١) سورة الصافات، الآية رقم ١٤٣، ١٤٤، ص٣١٢.

(٢) سورة غافر، الآية رقم ٥٢، ص٣٧٤، ٣٧٥.

٤٤٤- معنى اسم الرحمن

في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [النحل:٥٨]، إثبات اسم الرحمن لله سبحانه وتعالى، والرحمن يعني ذا الرحمة الواسعة، وهذا الاسم الكريم تنكره قريش، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ ﴾ [الفرقان:٦٠] ، ولما أراد النبي ﷺ أن يكتب كتاب الصلح في الحديبية وقال للكاتب: «**اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم**» أبى رسول قريش، وقال: إننا لا نعرف الرحمن، ولكن اكتب: باسمك اللهم، وليس هذا من باب التنزل، ولكن من باب التأليف وإمضاء المعاهدة.

ورحمة الله عَزَّوَجَلَّ تشمل الكافرين، فلولا رحمة الله عَزَّوَجَلَّ ما بقي الكافر لحظة واحدة، فالكافر مرحوم، والمؤمن مرحوم، لكن الفرق أن المؤمن مرحوم في الدنيا والآخرة، والكافر مرحوم في الدنيا، قد أغدق الله عليه النعم، وعجل له الطيبات، لكنه في الآخرة يعامل بالعدل، ويجازى بما يستحق.

إذن نقول: الرحمة العامة تشمل المؤمن والكافر، والخاصة تختص بالمؤمن[١].

٤٤٥- دعاء الله عَزَّوَجَلَّ عند قبر النبي ﷺ

بعض الناس يذهبون إلى قبر النبي ﷺ ، ويدعون الله هناك، ويستدلون بقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٦٤]، ويقولون: إن هذه الآية لا تدل على الخصوصية، وما ذنب من يأتون من بعده أنه لا يستغفر لهم النبي ﷺ ؟

---

(١) سورة الزخرف، الآية رقم ٥٨، ص٨٤، ٨٥.

فالجواب: هذا داخل في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٧]، إن الذي قال له: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، يتحدث عن قوم معينين بدليل قوله: ﴿إِذ ظَّلَمُوٓاْ﴾، و«إذ» لما مضى، وقوله: ﴿جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾، يعني استغفرت لهم، لكنه أظهر في مقام الإضمار، تعظيمًا لشأن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وبيانًا لأنه أقرب منهم إجابة، ثم قال: ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ إلى آخره [النساء:٦٤] ، ولم يقل: ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم، فإنه لو قال: إذا ظلموا قلنا: هذه لهم ولغيرهم، ولكن قال: ﴿إِذ ظَّلَمُوٓاْ﴾.

ثم إن استغفار الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعد موته مستحيل؛ لأن الاستغفار عمل، والعمل قد انقطع بموته.

ثم إن هؤلاء ليسوا أفقه في كتاب الله، وليسوا أعلم بحال رسول الله ﷺ من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فهل أحد منهم جاء إلى قبر الرسول، قال: يا رسول الله استغفر لي؟ أبدًا، بل إنهم لما أصيبوا بالجدب لم يقولوا: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، مع أنهم إلى جنبه، بل هم استغاثوا ودعوا الله ، وطلب عمر من العباس أن يدعو الله عَزَّ وَجَلَّ [1].

٤٤٦- اجتهاد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

إن النبي ﷺ يجتهد، وربما يخطئ في اجتهاده؛ لأن هذا مقتضى البشرية، وكما هو الواقع في مثل قول الله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة:٤٣]، وفي قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ

---

(١) سورة فصلت، الآية رقم ٦، ٧، ص٤١، ٤٢.

﴿ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ [عبس:١-١٠].

ولكنه ﷺ يمتاز عن غيره: في أنه لا يقر على خطأٍ ـ ولو بالاجتهاد ـ بخلاف غيره، فقد لا يُذكر ولا يَذكر إذا نسي، وقد لا يُعلم ولا يَعلم إذا جهل، يعني خطأنا نحن قد نستمر عليه دون أن نُنبه له أو ننتبه، لكن الرسول ﷺ لا يمكن أن يقر على خطأٍ، ولا يمكن أن يقر على نسيان ما يجب، بل لابد أن يتنبه أو يُنبه[١].

٤٤٧- الوحي لا يكون إلا لنبي

إثبات رسالة النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ تؤخذ من قوله: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [فصلت:٦]؛ لأن الوحي لا يكون إلا لنبي.

فإن قال قائل: كيف تقولون: إن الوحي لا يكون إلا لنبي، وقد أوحى الله تعالى إلى غير الإنسان فقال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل:٦٨]، وقال تعالى في غير الأنبياء: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [القصص:٧]؟

قلنا: هذا الإشكال لا يَرِدُ إلا على من لا يفرق بين معاني الوحي، فأما من فرق بينها، وقال: إن الوحي إما أن يكون بشرع، وإما أن يكون بغيره، فإن كان بشرع فهذا لا يكون إلا للرسل أو الأنبياء، وإن كان بغير الشرع فإنه يكون من باب الإلهام، فيكون قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل:٦٨]، أي: ألهمها أن تتخذ من الجبال بيوتًا ... إلى آخره، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ [القصص:٧] يعني: وحي إلهام، وبذلك يزول الإشكال[٢].

(١) سورة فصلت، الآية رقم ٦، ٧، ص٤٢، ٤٣.
(٢) سورة فصلت، الآية رقم ٦، ص٤٣.

٤٤٨- أهمية التوحيد

لأهمية التوحيد حصر الله الوحي بالتوحيد فقال تعالى: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ﴾ [فصلت:٦]، مع أنه يوحى إليه أشياء أخرى كالصلاة والزكاة وغير ذلك، لكن لما كان أهم ما جاء به ﷺ التوحيد حصر الوحي به، فقال: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الأنبياء:١٠٨] (١).

٤٤٩- الناس وفهم القرآن

إن القرآن الكريم مُبَيِّنٌ لكل ما يحتاج إلى البيان؛ لقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الزخرف:٢]، ولكن هذا البيان ليس حاصلًا لكل أحد، فمن الناس مَن يفهم من القرآن أشياء كثيرة، ومن الناس مَن هو دون ذلك، ومن الناس مَن لا يفهم شيئًا، فالأقسام ثلاثة: فمن الناس مَن يفتح الله عليه فيفهم من الآية الواحدة عشرات المسائل، ومن الناس مَن هو دون ذلك، ومن الناس مَن لا يفهم شيئًا.

ولهذا لما سُئِل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هل عهد إليكم النبي ﷺ بشيء؟ قال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عهد إلينا بشيء، إلا فَهْمًا يؤتيه الله تعالى مَن شاء في القرآن، وإلا ما في هذه الصحيفة، وإنما سئل عليٌّ عن ذلك؛ لأنه أُشِيعَ في زمنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عهد إليه بالخلافة، وقال: أنت الخليفة من بعدي، فَبَيَّن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن ذلك لم يكن، والشاهد من هذا الأثر قوله: إلا فهمًا يؤتيه الله من شاء من عباده(٢).

---

(١) سورة فصلت، الآية رقم ٦، ص٤٥.
(٢) سورة الزخرف، الآية رقم ٢، ص٣٤.

٤٥٠- العلو لمن تمسك بالقرآن

في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف:٣، ٤] إثبات أن القرآن عالٍ بل عَلِيٌّ، وهذا يدل على أن من تمسك بهذا القرآن فله العلو كقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد:٣٥] ، فنقول: القرآن عليٌّ، ومن تمسك به فله العلو، وشاهدُ هذا الواقعُ؛ لما كانت الأمة الإسلامية متمسكة بالإسلام كان لها العلو والظهور، وملكت به مشارق الأرض ومغاربها، ولما تقاعست وتخاذلت وتنازعت وتباغضت صار الأمر بالعكس؛ صار لها الذل، فالآن أمة العرب يدعون اليهود إلى السِّلم، ويكررون ذلك، ويمدون أيديهم إلى دول النصارى لتساعدهم على السِّلم؛ لأننا لم نتمسك بالقرآن، فكنا أذلة نتوسل بأعدائنا أن يقع السلم بيننا وبين أعدائنا.

فلو قال لنا قائل: نحن أمة القرآن ومع ذلك فالناس في ذلٍّ؟

قلنا: لأننا لم نتمسك بالقرآن، ولو تمسكنا بالقرآن لضمنا لأنفسنا العلو والغلبة والظهور، لكن الأمر بالعكس؛ فالآن غالب المسلمين يلهثون وراء الدنيا معرضين عن الدين؛ يسألون: ما الذي ينمي الاقتصاد؟ ما الذي يحصل به الترف؟ وما أشبه ذلك، لكن ما الذي يُقوِّي الدين؟ هذا قليل نادر، هذا قليل أو معدوم.

إذن الكلمة ﴿لَعَلِىٌّ﴾ على ظاهرها وعلى معناها، لكن بشرط أن نتمسك بهذا القرآن[1].

---

(١) سورة الزخرف، الآية رقم ٤، ص٤٥، ٤٦.



فهرس الموضوعات





فهرس الموضوعات







دار مدى للنشر والتوزيع
Dar Mada For Publishing & Distribution
الكويت (00965) 55123010

في هذا الكتاب

فبين يديك - أخي القــارئ - كتاب يحوي فوائد متنوعة ولطائف شــتى من درر الشــيخ محمد صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفســير القرآن، انتقيتها من تفسير الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ المطبوع، ولم أرتِّبها وفق ترتيب ســور القرآن، بل جعلت الكتاب بمثابة حديقة غنَّاء يتجول المنتزّه فيها، ويقطف من بساتينها وجنانها المتنوعة الورد والأزهار بمختلف الألوان والأشكال.

وقــد أســميته « **غيث القلوب وربيع الصدور / فوائد ولطائف قرآنية لابن عثيمين** »؛ لمــا حواه من الفوائد الإيمانية والأخلاقية والتربويــة والعلمية التي تحيا بها القلوب، وتســتنير بها البصائر، وتنشــرح لها الصدور والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أســأل أن يجعل هذه الكتاب مبــاركاً ونافعاً لنا ولعبــاده، وصلى الله وســلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

